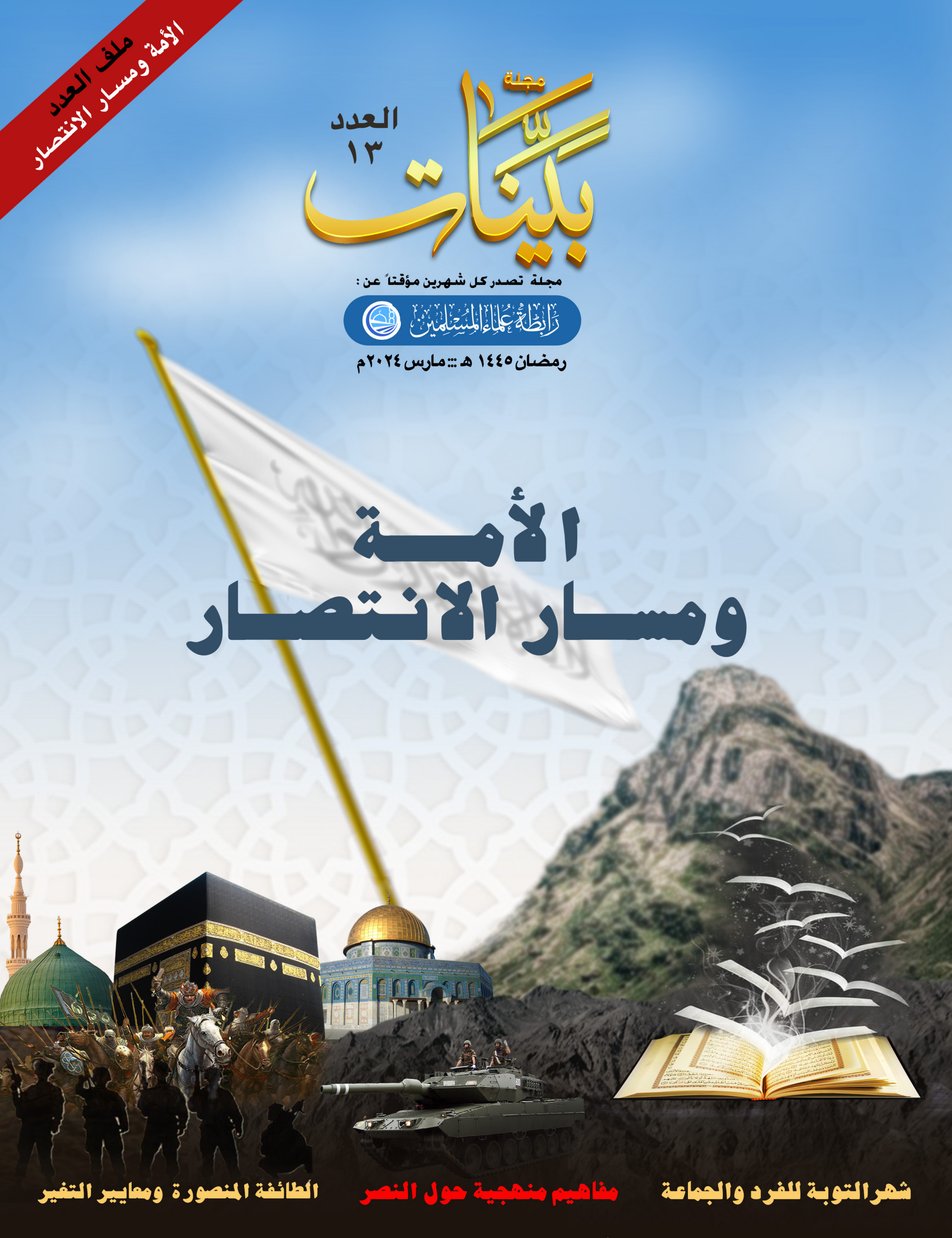


شهر التوبة للفرد والجماعة | مفاهيم منهجية حول النصر | الطائفة المنصورة ومعايير التغير

الحرب الباردة وبوادر التسخين | مَنْ الذين يفرقون باكستان ؟ | طالبان.. انتصار في زمن الانكسار



موضوعات العدد

الافتتاحية:

- في شهر التوبة ليس الفرد بأوْلى من الجماعة .... التحرير ٤

بصائر من خطاب الوحي:

- لقد جاءكم رسول من أنفسكم.. .... د. محمد عبد الكريم ٦

قضايا منهجية:

- واقع عامة المسلمين واختلاف رؤية الدعاة في التعامل معهم.. .... د. هشام عقدة ٨
- الشهادة.. وما أعظمها من سلاح .... ش. عبد الآخر حماد ١٣
- في قضية فلسطين.. لاحل إلا بالثبات على ثوابت الدين .... عبدالله همام ١٥

ملف العدد: الأمة ومسار الانتصار :

ملف العدد

- انتصار الإسلام.. بشارات ودلالات .... د . محمد يسري إبراهيم ١٨
- مفاهيم منهجية حول النصر .... د.حسن سلمان ٢٢
- الطائفة المنصورة ومعايير التغيير .... د. عبد العزيز كامل ٢٨
- من ألطاف النصر الإلهي .... د.محمد وفيق زين العابدين ٣٤
- صمود غزة.. نصر يستعصي على الكسر .... ا. عامر عبد المنعم ٣٥
- طالبان.. انتصار في زمن الانكسار .... عبد المنعم منيب ٣٦
- الخوف من سنة الاستبدال .... د.محمد عبد الرحمن المكي ٣٩

سير أعلام النبلاء المعاصرين:

- الشيخ أحمد ياسين.. القعيد الحجة على القاعدين ٤١

عالمنا الإسلامي:

- الحرب الباردة..وبوادر التسخين .... د. عبد العزيز التركي ٤٥
- تحديات مصيرية في القضية الفلسطينية .... ش.نضر أبو الهيجاء ٥٠
- مَنْ الذين يغرقون باكستان؟ .... عبد الرحمن حارث ٥١
- مئة عام على رحيل الخلافة .... عبد الوهاب محمود ٥٤

آفاق فكرية:

- الإمّعات الفكرية.. وثقل المسئولية .... أ.د.محمد أمحزون ٥٦

آخر ورقة:

- عن المقاطعة نتحدث .... د.عبدالله الحميري ٥٩



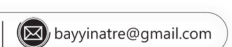
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين





رمضان ١٤٤٥هـ ::: مارس ٢٠٢٤م

bayyinatre@gmail.com | رابطة علماء المسلمين





في شهر التوبة ليس الفرد بأوْلى من الجماعة

من مميزات رمضان باعتباره الركن الرابع من أركان الإسلام، أنه يحقق حالة وحدة الأمة الإسلامية المرتكزة على الوحدة الثقافية ، والتي يشكل القرآن الكريم والسنة المشرفة ركيزتيها الأساسيتين ، فكيف يمكن أن تنعكس ظلال تلك الوحدة في واقع الأمة الإسلامية مع كل رمضان مبارك تعيشه شعوبنا العربية والإسلامية المرتبطة بالدين؟

دون أدنى شك فإن ظلال رمضان تتشعب في مناحٍ كثيرة، لترسم بركة الشهر المبارك الذي أنزل فيه القرآن، وذلك على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع.

ولعل مفهوم التوبة وسلوكها يعتبر من أهم وأبرز ظلال رمضان المبارك، حيث نلمسه في أنفسنا ومحيط أهلنا وأحبابنا وجيراننا، إذ يجسُر رمضان الهوة بين الأخ وأخيه وبين الجار وجاره المتشاحنين، وبين الفقراء والأغنياء المتباعدين. وقس على ذلك في كل الأوساط الاجتماعية.

فإذا كانت تلك الأشكال تجسد سلوك التوبة الفردية، فكيف تتجسد سلوكيات التوبة الجماعية والمجتمعية؟

إن أشكال التوبة الجماعية والمجتمعية هي الأهم والأبرز والأكثر فاعلية ونجاعة في تغيير الواقع البشري عموما والإسلامي خصوصا، ويدل على ذلك أن الخطاب القرآني في عمومه خطاب جماعي، سواء في خطاب الأمر والنهي، أو في النصوص المشيرة إلى استحقاق النصر أو الهزيمة والهلاك، وهو سلوك مفقود في شهر رمضان المبارك منذ عقود طويلة تعيش أمتنا فيها أوضاعا كارثية!وتوبة الجماعة تختلف عن توبة الفرد في شكلها ومضمونها وإن توحدت في أهدافها، حيث توجب التوبة الجماعية إقلاع الجماعات والتنظيمات والحركات والأحزاب الدعوية والسياسية والجهادية عن خياراتها الخاطئة أو الضالة أو المنحرفة، ولو في أحد زواياها التي تورث الخيبات والخسارات والهزائم، كما تورث الفصام النكد والشقاق بين الجماعات العاملة في نفس المسار والمنطلقة من نفس المنطلقات الرسالية !

ومما يشير إلى التوبة الغائبة في واقع الجماعات والحركات والتنظيمات الدعوية والسياسية والجهادية؛ هو عدم مراجعاتها لأفكارها التي تتبناها، وعدم مراجعاتها لسياساتها التي تنتهجها وأحلافها التي تبنيها، وعدم مراجعاتها لمواقفها التي تتخذها تجاه الدول والحكومات والأحزاب والمحاور السياسية انطلاقا من رعاية أحوال الأمة .

ومما يعزز تلك الغيبة المذمومة؛ هو الخطاب الإسلامي المفرط عن وجوب توبة الأفراد، فيما لا يطرح وجوب توبة الجماعات والتنظيمات، ولا يفصل أشكالها الواجبة رغم رائحة آثامها التي تملأ الساحات!

فهل سمعت يوما عن لقاء رمضاني يبحث جسر الهوة بين الأشاعرة والسلفيين، أو بين الإخوان المسلمين والحركات الجهادية، أو بين حزب التحرير وغيره، أو بين بعض الحركات الإسلامية المتنوعة في ساحة واحدة، رغم أنها تنطلق من نفس المنطلقات وتدعي نفس الأهداف ؟

إن أقصى ما وصلت إليه بعض الجماعات العاملة هو اللقاء بين المسلمين والمشاريع المعادية والمخالفة في المنطلقات والمفارقة لبعضها في الأهداف!

وهذه لا تعتبر توبة، بل هي غرق في الإثم واستمراء للمعاصي والكبائر السياسية!

كما أن غياب التوبة المجتمعية بين الأعراق المختلفة رغم ثقافتها المشتركة وأرضها الواحدة وتاريخها المشترك علامة سيئة تشير إلى غياب التوبة الواجبة في حقها، وذلك رغم أن شهر رمضان المبارك يجمع تلك الأعراق في إفطار وسحور وقيام واحد كل يوم وليلة!

فهل سمعت عن مصالحة بين العرب والأكراد المسلمين الصائمين في جغرافيا مشتركة، وهل سمعت عن الأمازيغ والعرب يتوبون إلى الله ويؤوبون إليه في رمضان مصلحين ماكان بينهم من تناحر وعداء في جغرافيا مشتركة؟ وقس عليه في أبناء البلد الواحد أو البلدين المتجاورين في المشرق والمغرب.

إن بروز تجسيد مفهوم التوبة بين الأفراد في رمضان وغيابه بين الجماعات يشير إلى قصور في الخطاب الإسلامي، الذي لم يتجاوز مستوى الوعظ العام إلى النقاش الواجب في المسائل والأوضاع التي تشك حجم التأثير الأكبر في واقع البشر والمجتمعات والجماعات.

كما أن غياب التوبة المجتمعية هو انعكاس مباشر لاهتراء دور الجماعات الدعوية والحركات والتنظيمات السياسية في تجسيد هذا المفهوم بينها وفي سلوكها البيني ، والأمر ينعكس على المجتمعات وأعراقها، بل بين أهل المدن والحضر وغيرهم.

الخلاصة: أنه لابد أن يرتقي الخطاب الإسلامي الدعوي التوجيهي في حديثه الواجب عن وجوب التوبة في حق الجماعات كما الأفراد - في شهر رمضان المبارك - كما لابد أن تبادر بعض الجماعات والتنظيمات والحركات السياسية بأخذ هذا الدور على مستوى الحركات ، لترسم صورة وقدوة تنعكس على الجماعات والأعراق والمجتمعات التي تدين جميعها بهذا الدين العظيم، والتي يجمعها رمضان في أوقاته وعباداته وأحكامه وكل تفاصيله التي جعلت منه عبادة وشعيرة جماعية تجمع ولا تفرق وتبني ولا تهدم وتقرب ولا تباعد. وقد قال الله تعالى مخاطبًا المؤمنين جميعًا فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور/٣١].

***







د. محمد عبد الكريم

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يؤكِّدُ الله تعالى باللام المفيدة للقسم وحرف (قدْ)؛ مِنَّتَهُ علينا؛ بإرساله إلينا؛ رسولَهَ الأكرمَ؛ محمَّداً صلى الله عليه وسلم؛ واصفاً إياه بخمسةِ أمورٍ:

• **الأوّل:** ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أيْ من البشر؛ ليسهل عليكم الاقتداء به؛ وطاعته؛ وجمهورُ المفسرين قالوا ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أيْ من العرب؛ بِلِسَانِهِمْ وَبِمَا يَفْهَمُونَهُ؛ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ).

•**الثاني:** ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ﴾ يعِزُّ عليه مشقَّتُكم؛ ويَصعُبُ عليه تعبُكمْ؛ ويشملُ ذلك ما يَصْعُبُ عليه من عنتِنا في الدنيا؛ مما يُصيبنا فيها؛ من الفتن والبلاء؛ وعنتِ الآخرة مما فيه من الحساب ودخولِ النارِ وهو أشدُّ العناء.

•**الثالث:** ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يحرصُ عليكم أن تسعدوا؛ في الدنيا بطاعة الله واتِّباعه؛ وفي الآخرةِ بدخول جنَّتِهِ اللهِ؛ وبلوغِ ورضوانهِ.

•**الرابع:** ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فهو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ كثيرُ الشفقة؛ ووفيرُ الرّحمةِ بالمؤمنين.

هذا؛ ومواقفُ رأفته؛ ومظاهرُ رحمته؛ بأمَّتِهِ كثيرة،

منها: إشفاقه على المسلمين من كثرة التكاليف؛ ولذلك سأل رَبَّهُ التخفيف كما في فرض الصلاة وغيرها؛ بل كان يتركُ بعضَ القرباتْ؛ أو يدعُ المداومة عليها خشيةَ أنْ تفرض على أمَّتهِ؛ كما في تركهِ اجتماعَ الناسِ عليه في قيام الليل في رمضان.

ومنها: قيامهُ بأعمال طاعة ؛ جبراً لما يعتري أمَّتَهُ من نقصٍ أوتقصيرٍ؛ كما في الاستغفار لهم و ادِّخارُهُ دعوتَهُ المُستَجابَةَ شفاعةً لأمَّتهِ؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لكُلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة يدعو بها؛ وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة".

وخرج بقوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من عداهم من الكافرين والمنافقين؛ فإنَّه شديدٌ عليهم كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة ٧٣].

وقال أيضاً: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فإنَّ المُخالفَ متوعَّدٌ في الدنيا بالفتنة؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]؛ ومتوعَّدٌ يومَ القيامة بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلّم عليه بالسُّحْقِ كما في الصحيحين عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي".

ومنها: بكاؤهُ إشفاقاً على أمَّتهِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي" وَبَكَى. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللّهِ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ" رواه مسلم.

ومنها: تضحيته بكبشٍ عمن لم يضحِّ من أمَّتهِ .

واحذر أخا الإيمان؛ أنْ تشقى بمخالفتهِ؛ وإحداثِ ما لم يأمرْ به من سنَّتِهِ؛ فتكون من أهل الأهواء؛ الذين غيَّروا سنَّة النبي صلى الله وسلم وهديه ، كالروافض، والخوارج وغيرهم

هذا وإنّ من أعظم أسباب البرّ؛ والفوز بحسن صحبته صلى الله عليه وسلم كثرةُ الصلاةِ عليه؛ قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: " وَاعْلَمُوا: أَنه مَا من عبد مُسلم أَكثر الصَّلَاة على مُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام؛ إِلَّا نور الله قلبه، وَغفر ذَنبه، وَشرح صَدره، وَيسر أمره، فَأَكْثرُوا من الصَّلَاة؛ لَعَلَّ الله يجعلكم من أهل مِلَّته، ويستعملكم بسنته". [بستان الواعظين ص٢٩٧]

اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على رسُولنا وحبيبنا محمَّد وعلى آله؛ واجزهِ اللّهمَّ عنّا بخيرِ ما جزيتَ بهِ نبيّاً عن أمَّتِهِ؛ وآتهِ اللّهمَّ الوسيلةَ والفضيلةَ؛ وابْعثْهُ المقامَ المحمودَ الذي وعدتَهُ؛ وأحينا على سنَّتِهِ؛ وأمتنا عليها؛ واجمعنا به عند حوضهِ؛ غير مُبَدِّلينَ ولا مُغَيِّرين .

***



د. هشـــام عقدة

واقع عامـة المسلميـن
واختلاف رؤيـة الدعـاة في التعامل معهم

عمـوم المسـلمين أو عامتهـم؛ هـم ذلـك الجمهـور العريـض الـذى نتوجـه إليـه بالدعـوة والـذى يراهـن عليـه أعـداء الدعـوة ؛ فيتعمـدون عزلـه عـن الدعـاة وزرع العـداوة والشـكوك والبغضـاء تجاهـه، ولـذا فمـن الواجبـات المهمـة علينـا أن نـدرك فقـه التعامـل مـع جمهـور النـاس والتحـرك بينهـم بمـا يجعلهـم أكثـر التزامًـا بالإسـلام والتفافًـا حـول الدعـاة وثقـة بهـم.

ولا أعنـي بفقـه التعامـل ذلـك الجـدل الـذى يدخـل فيـه البعـض مـع العامـة ؛ ويصبحـون وإياهـم أشـبه بالمتشـاجرين في فرع والأصـل فاسـد ، هـذا يقـول فـلان ظـالم وفـلان مظلـوم ، فـلان عـلى صـواب وفـلان عـلى خطـأ، أنـا تبـع فـلان وأنـت تبـع مـن ؟ ؛ وتنتهـي المناقشـة بـلا جـدوى كـما بـدأت... اللهـم إلا عـداوات زائـدة وتنافـر أكـبر ؛ وذلـك لأن الـذى تناقشـه عنـده مـرض في أجهـزة اسـتقبال المعلومـة ، عنـده انحـراف في فهـم الإسـلام وفي فهـم قضايـا الـولاء والـبراء ، وفي فهـم الواقـع مـن حولـه ، ومـن الصديـق ومـن العـدو ، فالناظـر إلى أحـوال كثـير مـن المسـلمين لا يخفـى عليـه تشـوه الديـن عندهـم وسـوء الفهـم للأساسـيات ، حتـى كلمـة الشـهادة " لا إلـه إلا اللـه محمـد رسـول اللـه "... كـما لا يخفـى علينـا انتشـار المنكـرات والانحرافـات بينهـم .

وفي المقابـل لا يخفـى أيضًـا مـا يجـري مـن محـاولات تنفيرهـم مـن الالتـزام والملتزمـين ، وتشـويه صـورة الدعـاة في أذهانهـم، وكل ذلـك يحتـاج إلى جهـد منـا في إصـلاح الأسـاس والجـذور؛ فالشـجرة الخبيثـة لا تنتـج إلا فروعًـا خبيثـة، والتشـاجر حـول الفـرع يطـول دون جـدوى بـدون الاتجـاه لإصـلاح الأصـل والأسـاس.

الناظر إلى أحوال كثير من المسلمين لا يخفى عليه تشوه الدين عندهم وسوء الفهم للأساسيات ... حتى كلمة الشهادة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .

وإزاء هذا الواقع المر تتجاذب الفرد الملتزم أفكار ونظرات شتى تجاه طبيعة العلاقة مع هذا الجمهور ، وما يمكن أن يفعل معه ؛ من باب القيام بأمره صلى اللّه عليه وسلم بالنصح لعموم المسلمين :

أ- ربما رأى البعض أن هذا الجمهور بما فيه من سلبيات وانحرافات وجهالات لا ينبغي أن نحفل به أو أن نحرص عليه أو أن ننشغل به ، فيما عدا الإنكار عليه ، أي أن العلاقة في هذه الحالة بين الملتزمين بالإسلام والجمهور تصبح منحصرة في الإنكار عليهم فيما يظهر منهم من منكرات ؛ فلا يشعر الجمهور بشيء من الملتزمين غير التوبيخ والاعتراض ، وربما التسفيه ؛ فيفتقدون شعور الشفقة والحرص عليهم وعلى مصالحهم وإعانتهم عليها.



وهنا يصبح هذا الإنكار من الملتزمين في ذهن العامة صورة من صور التسلط والتعالي لا غير، ويسود في نفوس الجمهور الشعور بالانقباض من هؤلاء الملتزمين ، ويسعى أعداء الدعاة في تعميق هذا الانقباض وتلك العزلة بين الفريقين ؛ وبالتالي فمسلك الإنكار المجرد لا يكفي لغرس الالتزام بالإسلام وشرائعه في الناس ، ولا يحقق التفافهم حول الدعاة وثقتهم بهم.

ب- وربما رأى البعض أمرًا آخر فأصبح مسلكه تجاه عامة المسلمين أن يضمر في قلبه حب الخير والهداية لهم، ولكن لا يرى أن يعترض على منكراتهم أو ينهاهم عنها؛ لئلا ينفروا أو ينقبضوا عن الدعاة والملتزمين، ولا يقوم ذلك البعض بأي دور عملي أو إيجابي مع جمهور الناس؛ تتحقق به مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم أو مصلحة للدعوة، أي أن العلاقة في هذه الحالة علاقة سلبية.

وأرى أن هذه الصورة في حقيقتها ضعف في الإيمان وقلة غيرة على الدين.. أكثر مما هي موقف شرعي مدروس ومرتب؛ لأن النفس إذا ضعفت ونقص فيها الإيمان والغيرة على الدين يثقل عليها أمر الناس بمعروف أو نهيهم عن منكر أو تعليم جاهلهم كما يثقل عليها بذل جهد أو التضحية بمال أو مكسب من أجل تحقيق مصلحة لدعوة الله.

ولا شك أن هذا الموقف ـ إن صح أن يسمى موقفًا ـ لا يظهر فيه العمل بقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢) ، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(ال عمران: ١١٠) ، ولا يظهر فيه كذلك العمل بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ، كما لا يتحقق في هذا الموقف السلبي وصف الصالحين الذي ذكره جل وعلا في قوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(آل عمران:١١٤)،
ولا وصف المفلحين في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:١٠٤)،
كما لا يظهر في هذا الموقف السلبى العمل بقوله ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".(١)

ويخشى من هذا الموقف العقوبة التي حلت ببني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٩،٧٨) ، والعقوبة التي ذكرها رسول الله ﷺ في قوله:

(١) [صحيح مسلم : ٤٩]
(٢)[حسن ـ صحيح ابن ماجه ٣٢٣٥]

"مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعو فلا يستجاب لكم"[٢]

وقوله ﷺ: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه". [٣]

والبعض يردون على ذلك : بأن هذه الآيات والأحاديث مرتبطة بالقدرة على الإنكار ونحن غير قادرين ؛ هكذا يطلقون القول دون تمييز بين مالا يقدرون عليه حقًا وما يقدرون عليه لكنهم يتكاسلون أو لا يهتمون ، كما لا يميزون بين ما يسوغ السكوت عنه لمصلحة شرعية أو دفع ضرر أكبر ومالا يسوغ السكوت عليه ؛ ولكنه طلب الراحة والتنصل من المسئولية تحت ستار هذه الحجة ؛ فهم يريدون أن يريحوا أنفسهم جملة من قضية الدعوة والاحتساب ، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا صدقناهم أنهم عاجزون عن إنكار كثير من الأمور بأيديهم فهل نصدق أنهم عاجزون عن إنكار أي منكر بمجرد اللسان , وإذا صدقناهم أنهم عاجزون عن تحريك ألسنتهم بإنكار أي منكر فهل نصدق أنهم عاجزون أيضًا عن الإنكار بقلوبهم ؛ حين لا يمنعون أنفسهم من مخالطة أصحاب المنكرات حال إتيانهم المنكر، وعقد الصلات الحميمة معهم ، وإذا صدقناهم أنهم عاجزون عن إنكار المنكر على الغريب الذى لا يعرفونه فهل نصدق كذلك أنهم عاجزون عن إنكار المنكر في بيوتهم وتجاراتهم ، أم أنهم يسهلون المعاصي لنسائهم وأولادهم وعمالهم ولا يعترضون ولا يمنعون .

وأخشى ما أخشاه أن تكون المسألة مسألة ضعف إيمان ومرض في القلب وليس عدم قدرة على الإطلاق في كل الأحوال ، وكارثة الكوارث أن يكون بغض المنكرات أصلًا قد زال أو ضعف في القلب ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان ؛ لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه ، فإن لم يكن مبغضا لشيء من المحرمات أصلا لم يكن معه إيمان أصلاً " .[٤]

وقال أبو عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ لعمر بن صالح : يا أبا حفص يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، فقلت يا أبا عبد الله : وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع فقال: يا أبا حفص صيروا أمر الله فضولًا - أي جعلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضولًا وتدخلاً في شئون الناس - ثم قال مفسرًا: "المؤمن إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى" ؛فقال الناس هذا فضول، قال : والمنافق كل شيء يراه ؛ قال بيده على فمه ـ أي صمت فلم يأمر ولم ينهَ ـ فقالوا : نِعمَ الرجل, ليس بينه وبين الفضول عمل - أي أشاروا إليه بالأصابع لابتعاده عن الفضول وعدم تدخله في شئون الناس، وقصدهم تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٥]

وقال العمري الزاهد: إن من غفلتك عن نفسك وإعراضك عن اللّه أن ترى ما يسخط الله فتجاوزه ولا تنهى عنه؛ خوفًا ممن لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: "ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه" والحديث رواه أبو سعيد الخدري فبكى وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا.[٦]

إذًا فالمسلك السلبي تجاه عامة المسلمين وغض الطرف عن انحرافاتهم وتجاهل منكراتهم يرد عليه ذلك الحرج الشرعي الكبير .

ج - وربما كان للبعض مسلك ثالث ونظرية أخرى تجاه جمهور المسلمين يتلخص في أهمية كسب هذا الجمهور والتودد إليه لا للدنيا ولكن للدعوة؛ وهذا يقتضي أن نيّسر لذلك الجمهور ما نقدر على تيسيره لهم من أمور دنياهم وقضاء مصالحهم، وأن نتقرب إليهم بمختلف صور العون والخدمة... لكن دون انشغال بمنكراتهم وأخطائهم، ودون التركيز على سلوكهم والتزامهم أو إزالة جهلهم بعقيدتهم وأحكام دينهم؛ بل يؤجل ذلك حتى تتمكن الدعوة من مقاليد الأمور؛ وهذا المسلك يقتضى ترك إشاعة كثير من العلم الواجب، وترك إنكار كثير من المنكرات دون عذر مع وجود القدرة، ثم بالإضافة إلى ذلك فإن هذا المسلك وهو كسب الجمهور بالدنيا ومصالحها دون عطاء ديني يخشى أن يسيء فهمه الجمهورُ أو يشوهه أعداءُ الدعوة؛ فيصوروا القضية للجمهور على أنها صراع سياسي مجرد مع الأحزاب الأرضية من أجل السلطة فحسب؛ حيث يسعى كل حزب لخطب ود الجماهير بتحقيق بعض المنافع لهم .

(٣) (صحيح أبي داوود :٤٣٣٨)
(٤) (موارد الظمآن ١/ ٦٠٣)
(٥) (موارد الظمآن ٦٠٤/١)
(٦) (صحيح ابن ماجه ٣٢٣٧)

وهـذا مـن سـلبيات كسـب النـاس بالدنيـا دون الديـن، بخـلاف مـا لـو شـعر النـاس أن الدعـاة يحرصون بصـدق على إنجائهـم في الآخـرة وعـلى تقويـم سـلوكهم والتزامهـم، وأنهـم لا يرضـون منكراتهـم ولا يقرونهـم عليهـا مـن أجـل تأييـد شـعبي؛ فهنـا يعصـم العمـل مـن التحـوّل إلى عمـل حـزبي مجـرد، ولا يصـدق الجمهـور أن الدعـاة مجـرد طـلاب دنيـا أو سـلطة أو مصالـح شـخصية.

وإذن فهـذا المسـلك الأخير ـ كسـب التأييـد بالدنيـا لا غير ـ لا يخلـو أيضًـا مـن خلـل.

و إذن فتلـك ثلاثـة مسـالك في النظـر إلى عامـة المسـلمين والتعامـل معهـم كلهـا فيهـا نظـر :

- مسـلك الإنـكار المجـرد مـن روح الشـفقة، والحـرص عليهـم ودون تيسـير لحوائجهـم الدنيويـة.
- مسـلك السـلبية والتجاهـل فـلا إنـكار عليهـم، ولا تقديـم خدمـة لهـم.
- مسـلك كسـبهم بالخدمـات والمصالـح الدنيويـة مـع تجاهـل منكراتهـم وسـلوكهم.

وإذا كانـت تلـك المسـالك كلهـا في التعامـل مـع عامـة المسـلمين فيهـا نظـر؛ فـما هـو الـدور أو المسـلك الصحيـح الـذي ينبغـي أن نسـلكه تجـاه جمهـور المسـلمين؟ ومـا الفـرق بـين هـذا الـدور وتلـك المسـالك السـابقة؟

• المسـلك الصحيـح أو الـدور المطلـوب منـا مـع جمهـور المسلمين:

إننـا كثـيرًا مـا نـردد أنـه ينبغـي علينـا أن ننطلـق في مواقفنـا ومناهجنـا مـن الكتـاب والسـنة ؛ مسـتعينين عـلى فهمهـما بأقـوال وتفسـيرات سـلفنا الصالـح ، ولكـن عنـد التطبيـق قد ننـسى الالتـزام بذلـك أو قـد لا ننفـذه بدقـة، لا سـيما مـع ضغـوط المحـن والغربـة .

ومـن تأمـل قـول النبـي ﷺ: "الديـن النصيحـة"[٧]، ثم نظـر إلى كلام علـماء السـلف بدقـة وإمعـان يجـد بوضـوح الـدور المطلـوب ومنهـج التعامـل المنشـود مـع جمهـور المسـلمين، ويجـد أن مسـلك النصيحـة لعامـة المسـلمين كـما فـسره سـلفنا لا يرادفـه أي مسـلك مـن المسـالك السـابقة التـي أشرت إليهـا؛ إذ النصيحـة لعامـة المسـلمين

(٧) [صحيح مسلم: ٥٥]

عندهـم كانـت شـيئًا عظيـمًا متكامـلًا ناجحًـا في التعامـل والـدور الـذى ينبغـي لـكل منـا مـع جمهـور الأمـة.

- فالنصيحـة أولًا ليسـت مرادفـة لإنـكار المنكـر أو منحـصرة فيـه، وإن كانـت لا تتعـارض معـه، وإنمـا تشـمله مـع أمـور أخـرى؛ فالنصيحـة أعـم وإنـكار المنكـر أخـص، فإنـكار المنكر وتقويـم خطـأ المخطـئ أو تعليـم الجاهـل ركـن مـن أركان النصيحـة للمسـلمين، وليـس كل النصيحـة المطلوبـة.
- والنصيحـة أيضًـا ليسـت مرادفـة لمسـلك إضـمار الخـير للمسـلمين والشـفقة عليهـم فحسـب ، وإنمـا تلـك الشـفقة عـلى المسـلمين ركـن مـن أركان النصيحـة .
- والنصيحـة للمسـلمين أيضًـا ليسـت مرادفـة أو محصـورة في مسـلك إرشـادهم إلى مصالحهـم الدنيويـة وقضائهـا لهـم، وإنمـا إرشـاد المسـلمين لمصالـح دنياهـم وإعانتهـم عليهـا ركـن مـن أركان النصيحـة.. ولا يحقـق النصيحـة الكاملـة الشـاملة التـي بـيَّن السـلف الصالـح مفرداتهـا في كلامهـم.

النصيحـة للمسـلمين كـما بـيَّن معناهـا سـلفنا تجمـع تلـك الأركان الثلاثـة معـا:

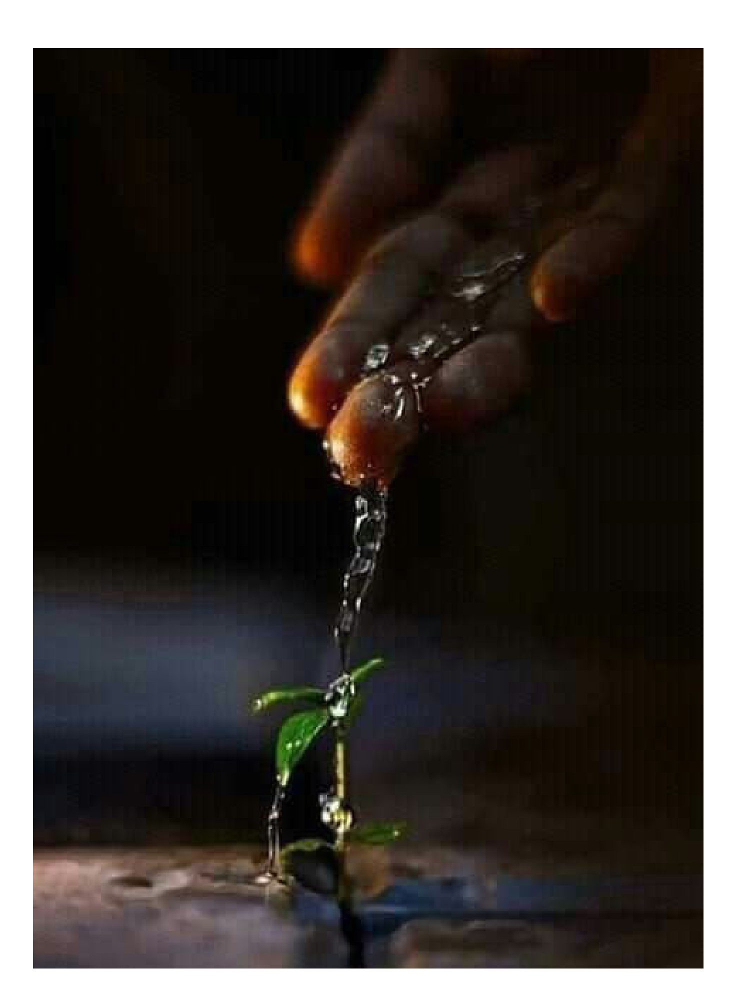
- أولًا : الإنكار على المخطئ وتقويمه وتعليمه .
- ثانيًـا: وجـود روح الشـفقة عليـه والخـوف عليـه مـن غضـب اللّـه وعذابـه .
- ثالثًـا: قضـاء مصالحـه وإعانتـه في أمـور دنيـاه ، وإرشـاده لمـا فيـه الخـير لـه في ذلـك .

وباجتـماع هـذه الأركان الثلاثـة في النصيحـة تـزول السـلبيات المختلفـة:

- فمـع وجـود الشـفقة عـلى المسـلمين وقضـاء مصالحهـم لا يصبـح الإنـكار عـلى أخطاءهـم سـبب فتنـة وانقبـاض لهـم ، ولا يسـتطيع خصـوم الدعـوة إيجـاد عزلـة بـين الدعـاة والأمـة.
- ومـع تقويـم أخطائهـم وتعليـم جهلائهـم لا يغـدو قضـاؤك لمصالحهـم عمـلًا حزبيًـا مصلحيًـا بحتًـا ؛ كسـبًا لتأييدهـم فحسـب .
- ومـع تقويـم خطئهـم وقضـاء مصالحهـم لا يصـير إضـمارك للخير والشـفقة عليهـم شـيئًا سـلبيًا لا قيمـة لـه مـن الناحيـة العمليـة .

•وكلام السـلف في معنـى النصيحـة كثير، والإلمام به مهم؛ حتـى نعلـم أن خطأنـا أننـا لا نأخـذ بجميـع مـا أمرنـا اللّـه، وأن القـوم متـى نسـوا شـيئًا مـما ذكرهـم اللّـه بـه اختلفـوا

واضطربوا، كما قال جل وعلا: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾(المائدة: ١٤) .
- قال أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله -: "النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وعملًا"..
- وقال الخطابي - رحمه الله -: "النصيحة كلمة يعبّر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع" .
فهذا كلامهم في لفظ النصيحة عامة، سواء كانت لله أو لكتابه أو لرسوله.. أو غير ذلك .



أما كلامهم في معنى النصيحة لعامة المسلمين وما تشتمل عليه؛ فيقول ابن رجب - رحمه الله -: "ومن أنواع نصحهم: دفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم - قضاء مصالح - وتعليم جاهلهم، ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه - إضمار الخير لهم والشفقة عليهم - كما قال بعض السلف: وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض" .

ـ وكان عمر بن عبد العزيز يقول: "يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به؛ فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو.. حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي" .

- وقال الحسن: "إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما يعجز عنه. وهذا تأكيد على أن النصيحة لا تتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" .
- ويقول محمد بن نصر - رحمه الله -: "وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم ويوقّر كبيرهم ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك في دنياه كرخص أسعارهم و إن كان في ذلك فوات ربح ما يبيع من تجارته، وكذلك يكره جميع ما يضرهم، ويحب ما يصلحهم و ألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم ودفع كل أذى أو مكروه عنهم".

- وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - " ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك بسخاء النفس وسلامة الصدور والنصح للأمة " .

- وقال أبو بكر المزني:"ما فاق أبو بكر رضي اللّه عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بصوم ولا بصلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه" ؛ قال ابن عُلية: الذي كان في قلبه الحب لله والنصيحة لخلقه.
- وقال الحسن: قال بعض أصحاب النبي ﷺ : "والذى نفسى بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة" .
وقد كان الرسل جميعًا ناصحين لأقوامهم من كل قلوبهم باذلين ما بوسعهم لنفعهم وهدايتهم؛ ولذا قال نوح لقومه:﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، وقال هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨]، وقال صالح: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[الأعراف:٧٩]، وقال شعيب - على الجميع السلام -: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[الأعراف:٩٣].

اللهم اجعلنا من المؤمنين الناصحين لخلقك حق النصيحة، وأرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه .



الشهـــــــــادة ماأعظمها من سلاح!!

الشيخ: عبدالآخر حماد

من أمضى الأسلحة التي يمتلكها أهل الإيمان في مواجهتهم لعدوهم؛ سلاحٌ قديم يرجع تاريخه إلى تاريخ بدء الصراع بين الحق والباطل، لكنه سلاح لا يزال - مع قِدمه - يطاول أعتى ما اخترعته قوى الشر من وسائل الفتك وأدوات التدمير، إنه السلاح الذي لا يمكن لتقنيتهم أن تخترع له مضاداً، ولا يمكن لوسائلهم الشيطانية أن تبطل أثره ومفعوله.. ألا وهو سلاح الشهادة في سبيل الله.

وقد دلت النصوص الشرعية وأقوال أهل العلم على جواز تغرير المسلم بنفسه طلباً للشهادة، إذا كان يطمع في إحداثِ نكايةٍ في عدو، أو تحقيقِ مصلحة للمسلمين.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: (قال محمد بن الحسن: لو حمل رجلٌ واحدٌ على ألف رجل من المشركين وحده لم يكن بذلك بأس، إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة للمسلمين .فإن كان قصده تجرئةَ المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه، ولأنَّ فيه منفعةً للمسلمين على بعض الوجوه، وإن كان قصده إرهابَ العدو ليعلمَ صلابة المسلمين في الدين، فلا يبعد جوازه .

وإذا كان فيه نفع للمسلمين فتلفت النفس لإعزاز دين الله وتوهين الكفر؛ فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ" إلى غيرها من آيات المدح التي مدح الله بها من بذل نفسه...)[1]

وقِصار النظر هم الذين لا يرون في ذلك إلا نوعاً من الإلقاء باليد إلى التهلكة ، أما أهل العلم والفقه فيعلمون أن إهلاكَ النفس في سبيل الله هو السبيل إلى إحيائها الحياة الحقيقية ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.[آل عمران : ١٦٩] .

ولقد أحسن القائل :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ
لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدما

ولذا فإن الله عز وجل لما سمى نبيه "يحيى" بهذا الاسم الدال على طول الحياة؛ فإنما أراد أن يهبَه من الحياة ما يتوافق به الاسم مع المسمى، فاختار له مع النبوةِ الشهادةَ، ليرزقه الحياة الكاملة.

فتأمل هذا المعنى وقارنه بحال من سمى ولداً له يحيى، رجاء أن يحيا وتطول به حياة، لكنْ لما لم يكن يملك أن يحقق له الحياة فعلاً فقد مات الوليد، وأنشأ الأب المكلوم يقول:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن
إلى رد أمرِ الله فيه سبيلُ

ولما علم السلف الكرام عظم مكانة الشهيد في الإسلام تسابقوا لنيل الشهادة، حتى وإن كانوا ممن عذر الله. فهذا عمرو بن الجموح وقد كان رضي الله عنه رجلاً أعرجَ شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأُسود، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه: ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة، فخرج معه فقتل يوم أحد)[2]

وفي حديث أبي قتادة[3] أن رسول الله ﷺ مر على عمرو بن الجموح بعد استشهاده فقال: "كأني انظر إليه يمشي برجله هذه صحيحةً في الجنة..".

الله عز وجل قد عذر غيرَ القادرين على الجهاد، ولكنه اشترط لذلك أن يكونوا من الناصحين لله ورسوله، لا المثبطين اللائمين للمجاهدين، فقال تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾. [التوبة :٩١].

قال الحافظ ابن كثير: (فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يُرجفوا بالناس، ولم يُثبطوهم .وهم محسنون في حالهم، ولهذا قال: ﴿ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾.



وتالله لو لم يكن للشهادة من فائدة إلا نيل رضا الله والجنة لكان ذاك سبباً كافياً للحرص عليها والعمل على نيلها. ومع ذلك فإن حوادث التاريخ والواقع يدلان على أن للتضحية بالنفس أكبر الأثر في الحط من عزيمة الأعداء وإشعارهم بالهزيمة النفسية. وبالأمس القريب، رأينا أمريكا بكل قوتها وجبروتها تفر هاربةً من أفغانستان، بسبب صمود المجاهدين وحرصهم على الموت في سبيل الله.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٦٤/٢).
(٢) أخرجه ابن إسحاق عن أشياخ من بني سلمة كما في سيرة ابن هشام (٩٦/٣) .
قال الألباني في تخريج فقه السيرة : وهذا سند حسن إن كان الأشياخ من الصحابة وإلا فهو مرسل وبعضه في المسند ... وسنده صحيح.
(٣) في مسند أحمد (٥/ ٢٢٩) بسند صحيح
(٤) تفسير القرآن العظيم : (٣٨٢/٢) .



في قضية فلسطين..
لا حل إلا بالثبات على ثوابت الدين

عبد الله همام

اختيار شعار (طوفان الأقصى) عنوانًا لمعركة الشرف والفداء ضد الأعداء المعتدين في فلسطين، جعل من رمزية هذا المسجد المبارك نقطة انطلاق لإعادة قضية بيت المقدس إلى وجهها الديني ووجهتها الإسلامية، بعد أن أضاعتها وميعتها وقزمتها الاتجاهات العلمانية، فالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله هو المركز في قصة صراع الحق والباطل بين أتباع الديانات الثلاث؛ ولذلك فمن قضيته وقصته ينبغي إقرار الثوابت الإسلامية التي يُراد التصدي لها، أو القفز من فوقها إلى حيث ثوابت الأعداء الظاهرين من كفار الكتابيين ومن دار في فلكهم من المنافقين.

ومن أبرز تلك الثوابت التي ينبغي ترسيخها جيلًا بعد جيل:

- أن الأرض المباركة حول هذا المسجد قُدست لارتباطها بقدسية الرسالات السماوية التي خُتمت برسالة خاتم الأنبياء ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ كما دلت على ذلك حادثة الإسراء، والاعتراف بحق اليهود في الوجود كدولة يهودية فيها، هو خيانة لله وللرسول وللمسلمين.

- المسجد الأقصى ليس مجرد مسجد يمكن استبداله أو التفريط فيه؛ بل إن أرضه المقام عليها مقدسة، وستظل مقدسة، مهما حدث فيها من تغيير، وهو مكان ذو مكانة عظمى لأنه يرمز إلى المعتقد الحق، الذي

جاء به رسول الحق ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناسخاً الشرائع السابقة؛ ولذا فإن التفريط فيه تفريط في العقيدة والشريعة معاً.

• قيمة الإنسان المسلم في هذه الأرض وغيرها من بلاد المسلمين فوق كل القيم، وحرمته أعلى من كل الحُرمات، فنصرة المسلمين المظلومين فيها وفي غيرها من أوجب واجبات الدين.

• هذه الأرض فتحها وعمرها المسلمون الأوائل من الصحابة ومن تبعهم؛ فلكل المسلمين فيها حقوق وعليهم واجبات؛ لأنها وَقْفٌ عليهم جميعاً، ولهذا لا يحق لكائن من كان أن ينفرد بتقرير مصيرها لغير صالح الإسلام والمسلمين؛ لأن نُصرتها أمانة في أعناقهم جميعاً بأرضها وشعبها ومقدساتها ومجاهديها ومرابطيها.

• قضية فلسطين ـ وكل قضايا المسلمين الكبرى ـ لا بد أن يُرَدَّ الفصل فيها لأهل الحل والعقد من المسلمين، الذين يمثلهم في الأساس أهل العلم والفقه على مستوى العالم الإسلامي، أما الساسة والمتنفذون؛ فما عليهم إلا التنفيذ في حال القدرة والاستطاعة، إذا كانوا حقاً مخلصين للأمة.

• غير المخلصين للمسلمين، وغير الملتزمين بمعتقد التوحيد القويم من المعادين للدين أو المبدلين لأحكامه ، وكذلك أصحاب البدع الغليظة في أسسه وأصوله؛ ليس لهم من الأمر شيء، ولا ولاية لهم على قضايا المسلمين انفراداً أو شراكة، بل ولا مشورة ولا بطانة، وتقريبُ هؤلاء أو التقرب منهم يباعد من أي حلول، لما فيه من إزراء بالدين، وتغرير بالمسلمين، إلا فيما تتقاطع فيه المصالح دون مساس بالمحكمات البينات.

• كل اتفاق أو معاهدة أو مبادرة تُبرَم أو تُطلَق من غير الاستناد الواضح لمرجعية الإسلام التي يقول بها العدول من أهل العلم، فهي مجرد حبر باهت على ورقٍ مهترئ، لا قيمة له ولا اعتبار، ولهذا لا يجوز أن يكون الموقف حيال ذلك هو الاحترام أو الالتزام.

• اليهود كانوا ـ وسيظلون للأبد ـ أشد الناس عداوة للذين آمنوا، ويدخل في حكمهم من شايعهم على عدوانهم من النصارى وغيرهم، ولهذا فإن دعاوى (السلام الدائم والعادل) معهم، هو افتراء على الحق وتضييع للحقيقة؛ بل إن عداوة هؤلاء وهؤلاء الدينية تتضاعف كلما أوغلوا في ظلم المستضعفين، واغتصبوا حقوق المسلمين .

• جهاد المغتصبين المعتدين بكل المستطاع واجب مفروض، لا يصح القول بإبطاله أو تأجيله أو نسخه أو نسئه ، فضلاً عن القول بنبذه والتبرؤ منه؛ لأنه شرعة واجبة الامتثال، إما عينياً أو كِفائياً.

• أرض فلسطين وسائر بلاد الشام التي فتحها سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ؛أحلوا فيها نهج الحق والسنَّة، فيجب تعظيم قدرهم فيها، وتعظيم المنهج الذي أحلُّوه بها، دون فتح المجال لإحلال وتمكين البدع الكبرى فيها.

• الشريعة الإسلامية ،لا المبادئ العلمانية؛ ستظل مرجع الحاكمية الواجبة في فلسطين وغيرها ، فالتحاكم القلبي إليها واجب حتى عند عدم القدرة على تنفيذها، والعجز عن الحكم بها لا يسوِّغ التحاكم أو الرضى بغيرها، فضلاً عن السعي لتمكين غيرها للحكم في رقاب المسلمين ودمائهم وأعراضهم وسائر شؤونهم.

• هناك دائمًا في مقابلة ثوابتنا الإسلامية وعلى عكسها، ثوابت (دينية) يهودية ونصرانية ، تنصرها أوتهون من شأنها أطروحات علمانية معادية لكل توجهات اعتقادية صحيحة، فلابد من كشف حقيقة " ثوابت" الباطل هذه كلها ، كي يمكن التصدي لها.

لا شك أن هناك من سيقول: أين نحن مما تتحدثون عنه، في زمان هوان المسلمين، وظروف تمكن الأعداء والمنافقين، ومناخ المعادلات الدولية والنظرات الواقعية لموازين القوى المؤثرة في طبائع الأحداث؟!

نقول: ظروف الواقع المتغيرة ليست حَكَماً على ثوابت الشريعة والعقيدة، كما أن هذا الواقع يتغير بسرعة لصالح المسلمين كلما اتجهوا نحوالمسار الأقوم والأسلم، ثم إن الأجيال الإسلامية لا بد أن تنشأ على المفاهيم والثوابت الإسلامية في قضاياهاالأساسية، حتى إذا عجزهذا الجيل عن استكمال التحرير واسترجاع الحقوق؛ لم يورِّث ذاك العجز أو يسلِّم مَن بعده لمسلَّمات وثوابت المبطلين .



ملف العدد

الأمة ومسار الانتصار

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (لما كان حين أمرنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بحَفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لنا في بعضِ الخَنْدَقِ صخرةٌ لا نأخذُ فيها المَعَاوِلَ، فاشتَكَيْنا ذلك إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، فجاء فأخذ المِعْوَلَ فقال: بسمِ اللهِ، فضرب ضربةً فكسر ثُلُثَها، وقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعةَ، ثم ضرب الثانيةَ فقطع الثلُثَ الآخَرَ فقال: اللهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارسٍ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ قصرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضرب الثالثةَ وقال: بسمِ اللهِ، فقطع بَقِيَّةَ الحَجَرِ فقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليَمَنِ، واللهِ إني لَأُبْصِرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا الساعةَ)[١]

لقد كانت تلك البشارات العظمى فى ظرف زلزلة كبرى، وقت الحصار الكبير في غزوة الخندق الذي نزل بشأنه قول الله عز وجل: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ﴾ [الأحزاب].

وقد شهد التاريخ تحقق هذه البشارات النبوية وشهد عليها، فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عصور الخلافة الراشدة وما بعدها وفق ما أخبر من لاينطق عن الهوى، ليؤكد ذلك أن مسار النصر والتمكين هو قدر هذه الأمة ما استقامت على الدين وظلت على عهد الاعتصام بحبل الله المتين.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٨٥٨)، (٤١٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (٤٢١/٣) وإسناده حسن



انتصار الإسلام.. بشـــارات ودلالات

د. محمد يسري إبراهيم

وعود الله في كتابه بالنصر والتمكين لأمة المسلمين ـ ما استقاموا على الدين ـ كثيرة، وقد بشَّر النبيُّ ﷺ بانتصار دينه وتمكينه في أحاديث ومناسبات عديدة، وهي مبشرات ذات دلالات، نذكرها ونذكِّرُ بها؛ لما ينبني عليها من تقوية اليقين، والقوة في أخذ الدين:

أولًا: البشارة بظهور الدين في العالمين:

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[التوبة:٣٢].

وفي الحديث: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ»(١).

وفي الحديث- أيضًا-: «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ...»(٢).

ثانيًا: البشارة باتساع الأمة، وامتداد ملكها:

في حديث مواقيت الحج والعمرة، ومواضع الإحرام دلالةٌ على اتساع مُلك الأمة وامتداده.

ففي الحديث: «مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَالطَّرِيقُ الْآخَرُ الْجُحْفَةُ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ»(٣).

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧)، والطبراني في الكبير (٥٨/٢)، والحاكم (٨٣٢٦) وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٢).
(٣) أخرجه مسلم (١١٨٣).

وفي الحديث- أيضًا-: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...»[٤].

وقد وردت الأحاديث المبشِّرة بفتح الشام، والعراق، واليمن، ومصر، وقتال الأتراك، والكرد، والانتصار عليهم جميعًا.

كما جاءت البشارة بفتح القسطنطينية وقد وقع، وجاءت البشارة- أيضًا- بفتح رومية- وهي مدينة (روما)- ولَمَّا يقع هذا بعد.

وقد سئل ﷺ: «أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينية، أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا. يعني: قسطنطينية»[٥].

ثالثًا: البشارة بنجاة المؤمنين ونصرهم:

من البشارات بالنصر في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. وغير ذلك من الآيات.

البشارة بالنصر من السنة النبوية:

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردةً، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شِدَّةً، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمرٌ وجهُهُ، فقال: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»[٦].

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).
(٥) أخرجه أحمد (٦٦٤٥)، والدارمي (٥٠٣)، والحاكم (٨٣٠١) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
(٦) أخرجه البخاري (٣٨٥٢).

رابعًا: البشارة ببقاء طائفة من الأمة ظاهرةً منصورةً إلى قيام الساعة:

في الحديث: عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٧].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٨].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»[٩].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ؛ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»[١٠].

خامسًا: البشارة بنزول عيسى حاكمًا في أمة الإسلام بشريعة الإسلام:

فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

والآية في عيسى ابن مريم - على الراجح- فهو حين ينزل يضع الجزية، ولا يقبل سوى الإسلام الذي أُنزل على خير الأنام ﷺ.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١]، فنزول عيسى آخر الزمان من علامات يوم القيامة.

وفي الحديث: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]»[١١].

وقد سبق في الحديث: «... فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى

(٧) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١).
(٨) أخرجه الدارمي (٢٤٧٧)، والطيالسي (٣٨)، والحاكم (٨٣٨٩)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٩) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).
(١٠)أخرجه مسلم (١٥٦).
(١١)أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

بَعْضٍ أُمَرَاءُ؛ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»(١٢).
وفي الحديث- أيضًا-: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»(١٣).

سادسًا: حديث التجديد

لقد سبق: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»(١٤).
وهذا التجديد مستمرٌّ ما بقي الليل والنهار، وهو مع حديث الطائفة المنصورة دالٌّ- بحمد الله- على تجديد الدين، وإتمام نوره في العالمين.
وفي السنة حديث ثالث يحمل ذات المعنى، وهو حديث: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»(١٥).

سابعًا: أحاديث المهدي، وأحاديث الخلافة الراشدة

أحاديث المهدي، وأحاديث الخلافة الراشدة كثيرة، قال عنها جمع من أهل العلم: إنها بلغت مبلغ التواتر.
وهي تدل على وجود خليفة في آخر الزمان يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، بعد أن مُلئَتْ جورًا وظلمًا.
وخلافة آخر الزمان هي خلافة راشدة على منهاج النبوة.
ففي الحديث: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدًّا»(١٦)
وفي حديث حذيفة: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ. ثم سكت. »(١٧).
وهو يدل على أن خلافةً راشدةً تنتظرها الأمة بعد المُلْكِ العضوضِ والجبري.
وهذا يدل على أن المستقبل للإسلام، وأن مستقبله كماضيه: انتصار وازدهار وانتشار، ولو تخلل ذلك شيء من الضعف، أو الانكسار.

ثامنًا: انتصار أهل الإسلام على اليهود في آخر الزمان

في الحديث: «تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ»(١٨).
وفي الحديث- أيضًا-: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(١٩).
وهذا يدل على أن القتال سيكون إسلاميًّا، وأن القتال مع شراذم يهود ممتدٌّ إلى آخر الزمان، وأن اليهود لن يتمكَّنوا من القرار والاستقرار بفلسطين حكامًا لها، وأن أهل الإسلام في جهاد ورباط بأرض فلسطين إلى قرب قيام الساعة.

تاسعًا: دلالات تاريخ الأمة:

لقد واجه النبي ﷺ غربة الدين الأولى حتى انقشعتْ، وأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].
حتى كتب الله لنبيه النصر والعزة والتمكين، وترك الأمة على البيضاء ليلها كنهارها، وعلى منواله نسج الراشدون، ومن بعدهم الأمويون، ثم جاءت في عهد العباسيين حروب صليبية، وأخرى تترية، فأما الصليبية فعبر حملات احتلوا فيها أكثر مدن الشام وبيت المقدس، وقتلوا من المسلمين من لا يُحصَى، ورفعوا الصليب على قبة الصخرة، واتخذوا من المحراب والمسجد اصطبلاتٍ لخيولهم وخنازيرهم، وقُتل من أهل الإسلام زهاءُ تسعين ألفًا!
وكان هذا في عهد الفاطميين العبيديين الذي أفسدوا عقيدة المسلمين، وبدَّلوا شريعة المسلمين، وانتشر في عهدهم الباطنية، وأهل البدع الشركية، ثم ما لبثتِ الأمةُ أن نهضتْ نهضةً على يد عماد الدين زنكي، فواجه الصليبين وقاتلهم، ومن بعده جاء ابنه نور الدين الشهيد الذي استنقذ عددًا من المدن والحصون من قبضة الصليبين، ثم توَّج اللهُ هذا النصرَ للمسلمين بالناصر صلاح الدين الذي مهَّد له الطريقَ نورُ الدين الشهيد، ومن ثَمَّ قضَى صلاح الدين على فلول الفاطميين، واستردَّ بيت المقدس بعد حطين (٥٨٣هـ). وطهَّر بيت المقدس من الصلبان والنواقيس، ورجع إلى حظيرة الإسلام بعد تسعين عامًا من احتلال الطغيان.
ومثل هذا مرَّ بدولة بني العباس على يد التتار الذين اسقطوا الخلافة عام (٦٥٦هـ)، وأنْهَوا وجودَ العباسيين، إلا أنه بعد سنتين اثنتين قيَّض اللهُ السلطان المظفر

---

(١٢) أخرجه مسلم (١٥٦).
(١٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).
(١٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) وصححه الحاكم (٨٥٩٢).
(١٥) أخرجه الخطيب في الجامع (١٢٨/١) وابن عدي في الكامل (٢٧٢/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/٧)
(١٦) أخرجه مسلم (٢٩١٣).
(١٧) أخرجه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الهيثمي: رجاله ثقات.
(١٨) أخرجه البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢١).
(١٩) أخرجه مسلم (٢٩٢٢).

هزيمة، وقاتلهم بنفسه، حتى عقر جواده، واستبسل حتى نصره الله، وهو يزأر بين جنده قائلًا:
وا إسلاماه!

وَعَيْنَ جَالُوتَ هَلْ أَبْصَرْتَ سَاحَتَهَا
وَقُطْزُ يَغْرِسُهَا غَارًا وَنِسْرِينَا
لَكِنَّنَا فِي زَمَانِ الْقَحْطِ نَحْصُدُهُ
لَمَّا نَسِيْنَاهُ أَشْوَاكًا وَغِسْلِينَا!

وفي العصر الحديث واجهتِ الأمة في الجزائر وليبيا والمغرب والسودان عبر قادتها العلماء الاستعمارَ الغربيَّ من دوله المختلفة!

فواجه الجزائريون الفرنسيين في حرب تحرير طويلة امتدَّت لنحو مائة وخمسين عامًا، نزفت فيها الدماء، وتقطَّعتِ الاشلاء، وقاوم الشعب وقاده العلماءُ، حتى أذن اللهُ بالجلاء على يد عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي.

وفي ليبيا هبَّ عمر المختار ومعه الزوايا السنوسية وأهل برقة وطرابلس وغيرها حتى تصدوا للطِّليان، وانتهى الأمر إلى الجلاء.

وفي المغرب قاد الشيخ المجاهد عبد الكريم الخطابي الجهاد ضد الصليبيين، وفي السودان قامت الثورة المهدية ضد الاحتلال البريطاني، وكل ذلك باسم الإسلام.

وماذا يصنع الاحتلال إذا كان القرآن أقوى من قوى الطغيان؟!

واليوم بعد احتلال فلسطين يواجه الصهاينة أهل فلسطين المرابطين، ويجهاده أبناء انتفاضة الحجارة الذين أصبحوا اليوم قياداتِ المقاومة الإسلامية التي أسسها الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، ومعهم كتائب المجاهدين.

عاشرًا: المبشرات من دلالة السنن الإلهية على نصر الإسلام وأمته:

لا يغترَّ مسلمٌ بما يظهر من ضعف مؤقت أمام قوة مادية لأعداء الإسلام؛ وذلك لأمور:

منها: أن الضعف طارئ وواقع بسبب من تخلُّف أهل الإسلام عن شرائع وشعائر الإيمان، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[آل عمران: ١٦٥].

ومنها: أن الأيام دول بين الناس، وأن القوة المادية لا تدوم لأحد، وقد قال الله تعالى ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران:١٤٠].

ومنها: أنه لا توجد أمة اليوم تملك رسالة عالمية خالدة محفوظة من التحريف سوى هذه الأمة الخاتمة الوارثة، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

ومنها: أن الماديات الغربية قد آذَنَتْ بأفولٍ بعد إنحطاط أخلاقي، وانحياز وتعصب غير موضوعي، وفساد اقتصادي واجتماعي، وكل ذلك ينخر في عود تلك الحضارة والبلاد!

ومنها: أن كثيرًا من عقلاء الغرب يدركون حقائق تلك المواجهة.

فقد قال السياسي البريطاني مرماديوك باكتول (١٩٣٦م): "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا، بشرط أن يعودوا إلى أخلاقهم التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالَم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم" [٢٠].

وقال المؤرخ الأمريكي جورج سارتون (١٩٥٦م): "إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتحدث اللغة العربية- وذلك ما بين القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر- كانت عظيمةً إلى درجة تُذهِل أفهامَنا، وإن شعوب الشرق الأوسط سبق لها أن قادتِ العالَمَ في مرحلتين طوال ألفي عام على الأقل قبل أيام اليونان، وفي العصور الوسطى لمدة أربعة قرون، وليس ثمةَ ما يمنع تلك الشعوبَ أن تقود العالَمَ ثانيةً في المستقبل القريب، أو البعيد" [٢١].

ويقول السياسي البريطاني روبرت بين (١٩٨٧م): "علينا أن ندرس العربَ، ونسبر أفكارَهم؛ لأنهم حكموا العالم سابقًا، وربما عادوا إلى حكمة مرة أخرى، والشعلة التي أضاءها محمد لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تطفأ" [٢٢].

وقال الإيرلندي الشهير جورج برناردشو (١٩٥٠م): "لقد تنبأتُ بأن دين محمد سيكون مقبولًا في أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولًا في أوروبا اليوم" [٢٣].

ويقول الدبلوماسي والكاتب الألماني مراد هوفمان (٢٠٢٠م): "إن الإسلام يحتل القمة فيما يشغل الإعلام العالمي في الربع الأخير من القرن الحالي لا يتوقع اليوم أحد أن يختفي الإسلام، ولكن أن يمتد، بل يتفجر"، وصدق الله العظيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت: ٥٣]

(٢٠) نقلًا عن كتاب: جند الله، لسعيد حوى (ص٢٢).
(٢١) الشرق الأوسط في مؤلفات الأمريكيين، لجورج سارتون، وآخرين (ص٥٥).
(٢٢) السيف المقدس، لروبرت بين (ص١٧).
(٢٣) نقلًا عن: لإسلام في الفكر الغربي، لأحمد عبد الوهاب (ص٢٢).

مفاهيم منهجية حول النصر



كان لمفردة النصر حظوة في النفوس وحبا في القلوب، وطليعة من تطلعات الأمم والشعوب، باختلاف اللغات التي يتم التعبير بها عن مضمون هذه المفردة، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]

وغالبا ما تثار هذه المفردة عندما تخوض الشعوب معاركها في مواجهة أعدائها، فهي تظل ترقب النصر والغلبة والتمكين والفتح، وتتوجس خيفة من الهزيمة والخسران، وضياع المكتسبات المادية والبشرية، تمامًا كما تتطلع اليوم أمة الإسلام قاطبة لانتصار المقاومة وهزيمة الكيان الصهيوني منذ بدء عملية(طوفان الأقصى)، غير أنها كثيرة الاختلاف بين مكوناتها ونخبها حول معنى الانتصار والهزيمة، فمنهم من يربط النصر بسرعة الحسم، ومنهم من يربطه بقلة التضحيات، فمتى ما امتد الوقت أو كثرت الخسائر المادية والبشرية؛ أصبح الناس في شك من أمرهم، وعدم ثقة بالنصر، ولهذا فالحاجة ماسة لتحديد الرؤية الشرعية والمنهجية في ضبط بوصلة المفهوم، ودلالته حتى لا يكون الناس ضحايا للقراءات الشخصية، بعيدا عن هدايات الوحي المنزل الضابط لذلك المفهوم والدلالة وأنواعه و وشروطه، وغير ذلك مما يحتاجه المسلم لضبط بوصلة التفكير

والسلوك.

فمفردة النصر في دلالاتها اللغوية الحسية تعني (التأييد والإعانة والنجاة والخلاص والانتقام والامتناع والرزق والعطاء والسقي والاستغاثة...)[١]



النصر في الاستعمال القرآني:

وردت مادة (نصر) في القرآن الكريم (١٥٥) مرة، يخص موضوع المقال منها (١٤٠) مرة وذلك بصيغ مختلفة وبدلالات متعددة نذكر منها ما يلي:

الأول: المنع ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة: ٤٨] .

الثاني: العون ومنه قوله تعالى:﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٤٠].

الثالث: الظفر والقهر والظهور والغلبة ومنه قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

الرابع: الانتقام ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].

الخامس: الفرج والمخرج ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤].

السادس: الاستعانة والاستغاثة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الأنفال: ٧٢].

السابع: الرزق والتوسعة ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[الحج: ١٥]؛ هذه بعض معاني ودلالات النصر في كتاب الله تعالى، وهي تكاد تتطابق مع الدلالات اللغوية الحسية، وبالتالي كانت العرب تعرف معنى النصر ودلالاته في الخطاب القرآني، ولكن القرآن الكريم حدد معايير النصر وأسبابه، وكذا مظاهره الشرعية، وربطه بالبعد الغيبي دون تجريده من الأبعاد المادية التي يعرفها الكثير من الناس، وبالتالي فالتصورات الدينية عن النصر ترتبط بالتوحيد والتعلق بالله تعالى وطلب العون والمدد منه وصرف القلوب إليه دون تجاهل وتغافل عن الأبعاد المادية والأسباب الشرعية في ذلك[٢].

أنواع النصر:

تختلف أنواع النصر باعتبارات عدة، فقد يكون النصر فرديا أو جماعيا، وقد يكون نصرا في معركة وليس غلبة وتمكينا وفتحا في نهاية حرب، وقد يكون نصرا مستحقا، أو محض تفضل من الله تعالى، أو نصرا ماديا يعود للقوانين والسنن المادية الجارية في الوجود الطبيعي، وسنقف على اعتبارين من ذلك بما يخدم غرض المقال **وذلك فيما يلي:**

أولا: أنواع النصر من جهة وضع الجماعة:

تختلف حالة الجماعة المسلمة في سعيها ومسيرتها الدينية والدنيوية، فقد تكون في حالة ضعف أو قوة، وقد تكون في حالة يجب فيها القتال، وقد يحرم عليها

(١) مختار الصحاح والمعجم الوسيط والبحر المحيط
(٢) المصطلحات في القرآن الكريم/أ.د محمد أمحزون/١٧١/١٧٨)

ذلـك، وقـد تكـون بادئـة بالقتـال طلبـا أو أنهـا تصـد العـدوان الخارجـي عليهـا، وفي كل ذلـك يمكـن أن يكـون لهـا نـوع مـن النـصر الموعـود في كتـاب اللـه تعـالى ونشـير هنـا لثلاثـة أنـواع مـن النـصر وهـي:

١. النصر الإلهي بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين:
إن الرسـالة السـماوية عـبر تاريخهـا تضمنـت أحـكام اللـه تعـالى للنـاس عقيـدة وشريعـة ومنهـج حيـاة، وطالبـت أتباعهـا بالتزامهـا وطاعـة مـا فيهـا والثبـات عليهـا مهمـا كانـت المغريـات والمرغبـات والمرهبـات، والدعـوة إليهـا والصـبر عـلى الأذى الـذي يصاحبهـا.

ولم يكـن في بدايـة الرسـالة السـماوية أمـرا بالقتـال وتكليـف المؤمنـين بـه ، بـل كان الرسـول مكلفـا بالبـلاغ والبيـان والصـبر، حتـى إذا مـا عانـده قومـه وكفـروا بـه جـاءه النـصر مـن اللـه تعـالى بهـلاك الكافريـن ونجـاة المؤمنـين، وهـذه كانـت سـنة اللـه تعـالى مـع قـوم نـوح وهـود وصالـح ولـوط وشـعيب وحتـى مـع مـوسى عليـه السـلام، كـما ورد تفصيـل ذلـك في العديـد مـن سـور القـرآن الكريـم، وهـي سـنة الأخـذ بالذنـوب الـواردة في قولـه تعـالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَـونَ وَهَـٰمَـٰنَ وَلَقَدۡجَاۤءَهُـم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَیِّنَـٰتِ فَاسۡتَكۡبَرُوا۟ فِی ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِینَ * فَـكُلًّا أَخَذۡنَـا بِذَنۢبِـهِۦ فَمِنۡهُـم مَّـن أَرۡسَـلۡنَا عَلَیۡـهِ حَاصِبـا وَمِنۡهُـم مَّـنۡ أَخَذَتۡـهُ ٱلصَّیۡحَـةُ وَمِنۡهُـم مَّـنۡ خَسَـفۡنَا بِـهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَا وَمَا كَانَ ٱللَّـهُ لِیَظۡلِمَهُـمۡ وَلَـٰكِن كَانُـوۤا۟ أَنفُسَـهُمۡ یَظۡلِمُونَ﴾[العنكبـوت: ٣٩-٤٠].

وقـد عـد القـرآن الكريـم هـلاك الكافريـن ونجـاة المؤمنـين مـن عـذاب اللـه تعـالى وغضبـه نوعـا مـن النـصر بمعنـى الانتقـام الربـاني مـن المكذبـين والكافريـن كـما ورد ذلـك في قصـة نـوح عليـه السـلام ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿فَكَذَّبُـوهُ فَأَنجَیۡنَـٰهُ وَٱلَّذِیـنَ مَعَهُۥ فِی ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِینَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔایَـٰتِنَاۤ إِنَّهُـمۡ كَانُـوا۟ قَوۡمًـا عَمِینَ﴾[الأعراف ٦٤].
قـال العلامـة الشـنقيطي في كتابـه أضـواء البيـان: (لَـمْ يُبَـيِّنْ هُنـا كَيْفِيَّـةَ إغْراقِهِـمْ، ولَكِنَّـهُ بَيَّنَهـا في مَواضِـعَ أُخَـرَ كَقَوْلِـهِ: ﴿كَذَّبَـتۡ قَبۡلَهُـمۡ قَـوۡمُ نُـوحࣲ فَكَذَّبُـوا۟ عَبۡدَنَـا وَقَالُـوا۟ مَجۡنُـونࣱ وَٱزۡدُجِـرَ * فَدَعَـا رَبَّـهُۥۤ أَنِّـی مَغۡلُـوبࣱ فَانتَـصِرۡ * فَفَتَحۡنَـاۤ أَبۡـوَابَ ٱلسَّـمَاۤءِ بِمَـاۤءࣲ مُّنۡهَمِرࣲ﴾[القمر: ٩-١١]، وقَوْلِـهِ: ﴿فَأَخَذَهُـمُ ٱلطُّوفَـانُ وَهُـمۡ ظَـٰلِمُونَ﴾[العنكبـوت: ١٤].

٢. نصر المقابلة:
والمقصـود بنـصر المقابلـة هـو النـصر الـذي يكـون بـين طرفـين متحاربـين، ويتـم فيـه اللقـاء والمقابلـة العسـكرية الميدانيـة التـي يحـرم فيهـا الفـرار ويكـون كبـيرة مـن الكبائـر، ويجـب فيهـا الثبـات، وهـي التـي نـص الفقهـاء بأنهـا محـل للواجـب العينـي في الجهـاد (التقـاء الصفـين)، وقـد وردت صورتهـا في الآيـات التاليـة:

-﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِیـنَ ءَامَنُـوۤا۟ إِذَا لَقِیتُـمُ ٱلَّذِینَ كَفَـرُوا۟ زَحۡفا فَلَا تُوَلُّوهُـمُ ٱلۡأَدۡبَـارَ﴾ [الانفال/١٥].
-﴿یَـٰۤأَیُّهَا ٱلَّذِیـنَ ءَامَنُـوۤا۟ إِذَا لَقِیتُـمۡ فِئَـةࣰ فَٱثۡبُتُـوا۟ وَٱذۡكُـرُوا۟ ٱللَّـهَ كَثِیـرࣰا لَّعَلَّكُـمۡ تُفۡلِحُـونَ﴾ [الأنفال/٤٥].
-﴿قَدۡ كَانَ لَكُـمۡ ءَایَـةࣱ فِـی فِئَتَیۡـنِ ٱلۡتَقَتَا فِئَـةࣱ تُقَـٰتِلُ فِـی سَـبِیلِ ٱللَّـهِ وَأُخۡـرَىٰ كَافِـرَةࣱ یَرَوۡنَهُـم مِّثۡلَیۡهِـمۡ رَأۡیَ ٱلۡعَیۡـنِ وَٱللَّـهُ یُؤَیِّـدُ بِنَـصۡرِهِۦ مَـن یَشَـاۤءُۚ إِنَّ فِـی ذَ ٰلِـكَ لَعِـبۡرَةࣰ لِّأُو۟لِـی ٱلۡأَبۡصَـٰرِ﴾ [آل عمران/١٣].
وهـذا النـوع تنـدرج فيـه معـارك الإسـلام الأولى مـن بـدر الكبري ومابعدهـا وفيهـا الانتصـارات والانكسـارات والهزائـم، وفقـا لسـنة التـداول. والنـصر الـذي فيهـا هـو نـصر المقابلـة، ولكـن مـن خـلال تتابـع الانتصـارات في معارك المقابلـة يتحقـق النـوع الثالـث وهـو نـصر التمكين والفتـح المبـين.
٣. نـصر التمكـين: والتمكـين لغـةً يعنـي (الاسـتقرار والرسـوخ والثبـات والقـوة والقـدرة والسـهولة وعلـو الشـأن)[1]، وبـذات المعـاني والـدلالات وردت مفـردة التمكين في القـرآن الكريـم كـما في قولـه تعـالى: ﴿وَكَذَ ٰلِـكَ مَكَّنَّا لِیُوسُـفَ فِـی ٱلۡأَرۡضِ یَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَیۡـثُ یَشَـاۤءُۚ نُصِیبُ بِرَحۡمَتِنَـا مَـن نَّشَـاۤءُۖ وَلَا نُضِیـعُ أَجۡـرَ ٱلۡمُحۡسِنِینَ﴾[يوسـف/٥٦].

ومـا نعنيـه بنـصر التمكـين هـو الحصـول عـلى القـدرة والقـوة عـلى الفعـل دون وجـود موانـع مـن تحقيـق المطلـوب، وهـذا يعنـي الخـروج مـن حالـة الاسـتضعاف المصحوبـة بالعجـز عـن تحقيـق المطالـب العاليـة، كالعبـادة والعمـران والاسـتخلاف والأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكـر، فالتمكـين هـو القـدرة عـلى تحقيـق مقاصـد الشـارع دون خـوف أو عجـز أو إكـراه، وذلـك مـا ورد في قولـه تعـالى: ﴿وَعَـدَ ٱللَّـهُ ٱلَّذِیـنَ ءَامَنُـوا۟ مِنكُـمۡ وَعَمِلُـوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَیَسۡتَخۡلِفَنَّهُم فِـی ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡـتَخۡلَفَ ٱلَّذِینَ مِـن قَبۡلِهِـمۡ وَلَیُمَكِّنَـنَّ لَهُـمۡ دِینَهُـمُ ٱلَّـذِی ٱرۡتَـضَىٰ لَهُـمۡ

(١) مختار الصحاح للرازي/٢٧٩،
وفي الاصطلاح قال عنه ابن عرفة في تفسيره (التمكين هو القدرة على الفعل) ٣٥٨/١.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/٥٥].

والتمكين يختلف من حال لحال سعة وضيقا، فقد يكون التمكين متعلقا بسلامة الفرد الداعية للرسالة ونجاته من الهلاك، وعدم تعرضه لخطر يهدد وجوده ،حتى يبلغ رسالة ربه، كما كان الحال مع يوسف عليه السلام عندما سهل الله تعالى سبيل النجاة من قعر الجب بواسطة السيارة، والدخول للقصر لينشأ ويتربى تربية تحفظ كرامته ووجوده، وهو ما ورد في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/٢١].

قالَ العلامة الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وكَذَلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرْضِ﴾، "أيْ كَما أنْعَمْنا عَلَيْهِ بِالسَّلامَةِ مِنَ الجُبِّ مَكَّنّاهُ بِأنْ عَطَّفْنا عَلَيْهِ قَلْبَ العَزِيزِ، حَتّى تَوَصَّلَ بِذَلِكَ إلى أنْ صارَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الأمْرِ والنَّهْيِ في أرْضِ مِصْرَ".

ويزيد العلامة ابن عاشور في تفسيره هذه الآية الأمر وضوحا بقوله: (والتَّمْكِينُ في الأرْضِ هُنا مُرادٌ بِهِ ابْتِداؤُهُ وتَقْدِيرُ أوَّلِ أجْزائِهِ، فَيُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بِحُلُولِهِ مَحَلَّ العِنايَةِ مِن عَزِيزِ مِصْرَ قَدْ خَطَّ لَهُ مُسْتَقْبَلَ تَمْكِينِهِ مِنَ الأرْضِ بِالوَجْهِ الأتَمِّ الَّذِي أُشِيرَ لَهُ بِقَوْلِهِ - تَعالى - بَعْدُ ﴿وكَذَلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنها حَيْثُ يَشاءُ﴾ [يوسف: ٥٦]، فَما ذُكِرَ هُنالِكَ هو كَرَدِّ العَجُزِ عَلى الصَّدْرِ مِمّا هُنا، وهو تَمامُهُ.

وكما أن التمكين يختلف في أحوال الأشخاص، فكذلك يختلف في سعة ومساحات البلدان، فقد يكون التمكين في أرض وبلد محدودة ومثاله تمكين يوسف عليه السلام في أرض مصر وليس في جميع الأرض، وكانت ولايته فيها محدودة بوزارة تولى أمرها بطلب من ملك مصر وتكليفه، بينما هناك من كان تمكينه شاملا وعاما مكانا وإنسانا وسلطانا ،ومثاله ذو القرنين الذي مكن له في الأرض كلها وأوتي من كل شيء سببا، قال تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[الكهف ٨٣-٨٥]، ومثله نبي الله سليمان عليه السلام صاحب الملك العظيم الذي لا مثيل له كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل ١٦].

ويتحقق نصر التمكين باعتباره وعدًا إلهيًا من خلال تحقق شروطه وانتفاء موانعه، ومن خلال تراكم الانتصارات المتعددة فيما سميناه بنصر المقابلة، ويتحقق التمكين الجامع للنصروالفتح، ومعها يتم الاستخلاف الخاص بأهل الإيمان وقيام ولايتهم العامة كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر/١].

تختلف أنواع النصر باعتبارات عدة، فقد يكون النصر فرديًا أو جماعيًا، وقد يكون نصرًا في معركة وليس غلبة وتمكينًا وفتحًا في نهاية حرب، وقد يكون نصرًا مستحقًا، أو محض تفضل من الله تعالى، أو نصرًا ماديًا يعود للقوانين والسنن المادية الجارية في الوجود الطبيعي.

ثانياً: أنواع النصر من جهة الاستحقاق وعدمه:

الله جل جلاله وحده المتصرف في الكون علويه وسفليه، ولا يكون في كونه ما لا يريد خلقا وتدبيرا، ويسري في الكون قدره وفقا لسننه الجارية، والنصر قدر من أقدار الله تعالى فلا يقع إلا بإرادته وحكمته وعلمه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/٦٢]، ولكن إرادة الله تعالى منها ما هو مراد محبوب لله تعالى وهي الإرادة الشرعية، ومنها ما هو مراد محبوب أوغير محبوب وهي الإرادة الكونية القدرية، والنصر منه ما هو محبوب لله تعالى ومراد له شرعا وقدرا، ومنه ما هو من قدره الكوني ولو لم يكن مراده ومحبوبه الشرعي وبناء على ذلك يمكننا تقسيم النصر بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

١. نصر الاستحقاق:

لما أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب جعل مراده التشريعي المعبر عما يحبه الله تعالى و يرضاه متضمنا في رسالاته، وجعل الرسل ومن اتبعهم من أوليائه وأحبائه أهل معيته الخاصة وولايته ونصرته، وأنهم من يرثون الأرض ولهم العاقبة في الدنيا والآخرة وأن الله يدافع عنهم ويحميهم ويمنعهم بحفظه ورعايته. وقد يختار منهم أهل الشهادة رفعة للدرجات وتكفيرا للسيئات . وهذا النوع من النصر الذي يكون للرسل والمؤمنين هو ما نطلق عليه - نصر الاستحقاق- أي أنه حق على الله تعالى تحقيقه، وهو وعد منه سبحانه وتعالى، ووعده لا يتخلف متى ما توفرت شروطه وانتفت موانعه، وقد ورد ذلك في العديد من آيات الكتاب العزيز ومنها قوله تعالى:

-(ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[يونس/١٠٣].

-(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ *إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ *وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ)[الصافات ١٧٠-١٧٣].

-(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[الروم/ ٤٧].

ويقول العلامة الرازي في تفسيره لقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وكانَ حَقًّا﴾ وجْهانِ:
أحَدُهُما: فانْتَقَمْنا، وكانَ الِانْتِقامُ حَقًّا، واسْتَأْنَفَ وقالَ ﴿عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾، وعَلى هَذا يَكُونُ هَذا بِشارَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ أيْ عَلَيْنا نَصْرُكم أيُّها المُؤْمِنُونَ. والوَجْهُ الثّانِي: ﴿وكانَ حَقًّا عَلَيْنا﴾ أيْ نَصْرُ المُؤْمِنِينَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا.

عَلى الأوَّلِ لَطِيفَةٌ وعَلى الآخَرِ أُخْرى، أمّا عَلى الأوَّلِ فَهو أنَّهُ لَمّا قالَ ﴿فانْتَقَمْنا﴾ بَيَّنَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظُلْمًا، وإنَّما كانَ عَدْلًا حَقًّا، وذَلِكَ لِأنَّ الِانْتِقامَ لَمْ يَكُنْ إلّا بَعْدَ كَوْنِ بَقائِهِمْ غَيْرَ مُفِيدٍ إلّا زِيادَةَ الإثْمِ ووِلادَةَ الكافِرِ الفاجِرِ، وكانَ عَدَمُهم خَيْرًا مِن وُجُودِهِمُ الخَبِيثِ، وعَلى الثّانِي تَأْكِيدُ البِشارَةِ؛ لِأنَّ كَلِمَةَ عَلى تُفِيدُ مَعْنى اللُّزُومِ، يُقالُ عَلى فُلانٍ كَذا، يُنْبِئُ عَنِ اللُّزُومِ، فَإذا قالَ حَقًّا أكَّدَ ذَلِكَ المَعْنى وقَدْ ذَكَرْنا أنَّ النَّصْرَ هو الغَلَبَةُ الَّتِي لا تَكُونُ عاقِبَتُها وخِيمَةً، انتهى كلامه..

ومما يدخل في مفهوم نصر الاستحقاق نصر الله تعالى لكل عبد مظلوم من عباده ولو كان كافرا وذلك لأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما، فالظالم مقهور والمظلوم منصور مهما طال الوقت، والعبرة بالنهايات كما ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)[1]، كما أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ مُعاذًا إلى اليَمَنِ، فَقالَ: (اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّها ليسَ بيْنَها وبيْنَ اللَّهِ حِجابٌ) رواه البخاري ومسلم.

نصر المقابلة هو النصر الذي يكون بين طرفين متحاربين، ويتم فيه اللقاء والمقابلة العسكرية الميدانية التي يحرم فيها الفرار ويكون كبيرة من الكبائر، ويجب فيها الثبات..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لهذا كان العدل أمرا واجبا في كل شيء وعلى كل أحد، والظلم محرما في كل شيء ولكل أحد، فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما، بل الظلم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن﴾ أي: لا يحملنكم شنآن أي: بغض قوم - وهم الكفار - على عدم العدل; ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ وقال تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وقال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ وقال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾.

وقد دل على هذا قوله في الحديث: (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)، فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدا، وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا، وهو العدل في الدماء والأموال والأبضاع والأنساب والأعراض[1]،

(١) رواه أحمد والترمذي ، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» وصححه محققو المسند بشواهده، وحسّنه الألباني

واستحقاق الكافر لنصر الله تعالى لا يعني حب الله تعالى للكافر، بل حبه للعدل والقسط، وبغضه للظلم والعدوان، وهو مقتضى الربوبية والخالقية لله تعالى.
وخلاصة القول؛ فإن نصر الاستحقاق يعني أنه لازم ومتحقق، وهو بالحق لا بالباطل، وبالعدل لا بالظلم، (وهُوَ حَقٌّ أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، تَكَرُّمًا وَتَفَضُّلًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام/٥٤] [٢]

نصر الاستحقاق هو الذي يكون للرسل والمؤمنين وهو حق على الله تعالى ووعد منه ووعده لايتخلف متى توفرت الشروط وانتفت الموانع ويدخل فيه نصر كل مظلوم .

٢. نصر التفضل:

الفضل لغة يعني الإحسان بلا مقابل، والمزية والزيادة، وما بقي من الشيء، ومن شواهده قوله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُولِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[النور/22].

وترد مفردة الفضل في القرآن الكريم مشتملة على الدلالات اللغوية، وتزيد عليها بمعان شرعية بحسب السياق فتعني: (الإنعام بالإسلام والنبوة والحكمة والرزق في الدنيا والبيع والشراء والمنة والنعمة والكرم والجنة والخلف والتجاوز وتأخير العذاب وقبول التوبة والإنابة والظفر والغنيمة وزيادة الثواب والكرامة والخير والمزية والرحمة والهدى)[٣]؛ فكل هذه المعاني تدل عليها مفردة الفضل في كتاب الله تعالى، وكذلك دلت السنة النبوية أن الفضل هو الزيادة عما به حاجة للإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) [رواه مسلم] .

والفضل والمنة والإنعام كله من الله وحده قال تعالى: (قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)[آل عمران/73]، وهو الإنعام بما لا يلزمه، وابتداء الإحسان للخلق بلا مقابل، فهو (ذو الفضل العظيم)، ومما يدخل في المفردة من فضل الله تعالى ونعمته على خلقه النصر والظفر التفضلي، وهو الذي يكون محض عطاء الله تعالى وهبته دون استحقاق أو سابق وعد، أو دون ارتباطه بشروط النصر الاستحقاقي الذي لا يكون إلا لأهل الإيمان. وهذا قد يكون لأهل الإيمان الذين لم يبلغوا مرتبة الوعد المستحق نصرا وتمكينا، وقد يكون لغير أهل الإيمان لحكمة يعلمها الله تعالى في تدبير كونه وخلقه، ومنها ما ورد من نصر الله تعالى للروم على الفرس الذي ذكره الكتاب العزيز في قوله تعالى: (الٓمٓ *غُلِبَتِ ٱلرُّومُ *فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ *فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)[الروم ٥-1].

ومن النصر التفضلي انتصار كثير من المسلمين تفضلا لا استحقاقا، وذلك بسبب دعوات الضعفاء وإخلاصهم، فقد رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفائِكُمْ؟)[صحيح البخاري]، فحصر النصر والرزق بالضعفاء وفي بعض الروايات بدعائهم وإخلاصهم، وهذا من أنواع النصر التفضلي.

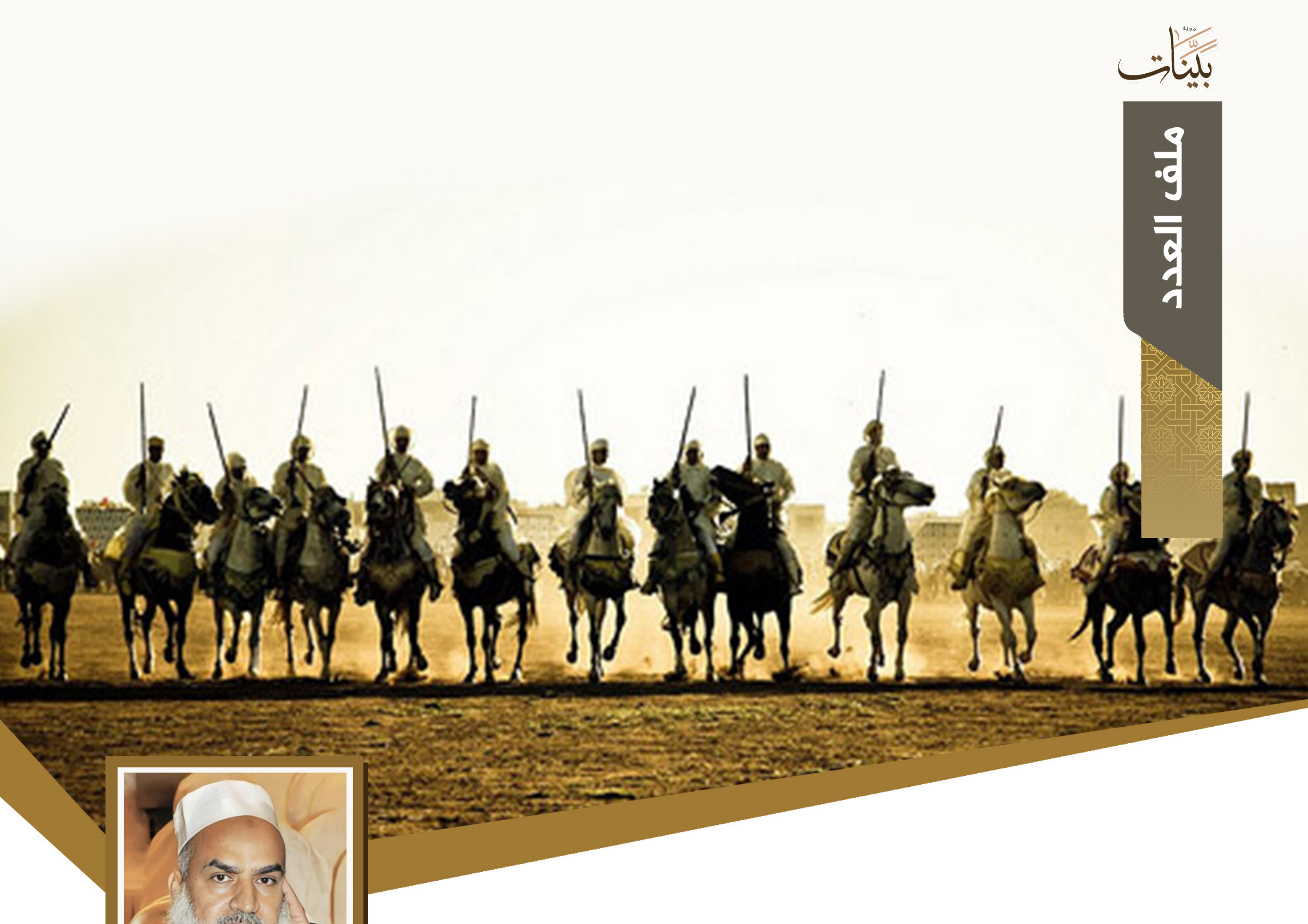
٣. النصر المادي أو الكوني:

النصر المادي أو الكوني والقدري هو ألا يكون النصر استحقاقا ولا تفضلا من الله تعالى، وذلك بأن تكون الغلبة والظفر مرتبطة بالقوانين الكونية العامة، وهو ما نراه في كثير من الصراعات والنزاعات البشرية بين أهل الباطل ودعاة الفساد والطغيان في الأرض، وغالبا في هذا النوع الكثرة تغلب القلة، والقوي يغلب الضعيف، والأكثر تنظيما وتخطيطا يغلب الارتجالي وغير المنظم، ويكون للعتاد والعدة والعدد والمكان والزمان والأحوال اعتبار خاص كونا وقدرا.

والخلاصة في النصر المادي سريان القوانين الكونية المحضة، فلا استحقاق ولا تفضل من الله تعالى، ولكن أيضا لا خروج عن قدره وحكمه الكوني وفق منظومة السنن وعالم الأسباب المادية.

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٨/١٦٨
(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى
(٣) المصطلحات في القرآن الكريم/أ.د/محمد أمحزون/٣١-٤٢،



د.عبد العزيز كامل

الطائفة المنصورة.. ومعايير التغيير

من أزمات العمل الإسلامي قِصر النَفَس عند كثيرين ؛ فلا تكاد نازلة تعم أو فتنة تقوم إلا وينتصب لها من يهوّل من آثارها؛ حتى يصل الأمر ببعضهم إلى حضيض اليأس ومستنقع التيئيس، متهمًا عموم الأمة بالتولي الجماعي الذي يستوجب التخلي الإلهي، وينـدُب البعض أنفسهم لإشاعة الدعاوى التي تريد استعجال سُنة الاستبدال، وتستكثر على الأمة صلاح آخرِها كما صلُح أولها .

لكن الأولى لنا والأجدر بنا أن نتأمل جميعًا صفات القوم الذين سيأتي الله بهم وَفق سُنَّة الاستبدال ـ إذا وجِدت أسبابها ـ عافانا الله من مقدماتها وموجباتِها؛ حيث إنه إذا تولى أقوام عن نصرة الدين استبدل الله بهم أناسًا غيرهم، وهم من قد فصّل لنا صفاتهم وسماتهم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[محمد: ٣٨]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

مـن هـؤلاء ؟ ومـا صفاتهم ؟

يقول الله عز وجل في شـأنهم:

١. ﴿ يُحِبُّهُـمْ﴾ لإخلاصهـم واتباعهم...
٢. ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ ليقينهم وشـدة شـوقهم.
٣. ﴿أَذِلَّـةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كل المؤمنين بحسـب إيمانهم.
٤. ﴿ أَعِـزَّةٍ عَـلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الظاهريـن منهم والباطنين.
٥. ﴿ يُجَٰهِـدُونَ﴾ بالـشرع المنَّـزل كل باطـل يجـيء بـه الـشرع المبـدَّل.
٦. ﴿ فِي سَـبِيلِ ٱللَّـهِ﴾ لا في سـبيل غـيره.. مـن الرايـات والغايـات.
٧. ﴿ وَلَا يَخَافُـونَ لَوۡمَـةَ لَآئِـمٍ﴾ ممـن يعاتبهـم أو يُعيِّرهـم أو يعنِفهـم لوضـوح مسـلكهم واسـتقامة سـيرهم...

تلـك هـي مؤهـلات الصـلاح الأوليـة، الجديـرة بالتقديـم والأولويـة، ومنْحُهـا توفيـق لا يُسـاق إلا لمـن اسـتأهلوا ولايـة اللـه ومحبتـه حقًّـا، والتعقيـب يفيـد ذلـك: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائـدة: 54].

فهـم أوليـاؤه الصالحـون المؤهَّلـون لنُصرتـه، بإقامتهـم لدينـه، واسـتقامتهم عـلى شريعتـه، وصدقهـم في ولائهـم للمؤمنـين وبرائهـم مـن الكافريـن؛ ولذلـك قـال سـبحانه بعدهـا: ﴿ إِنَّمَـا وَلِيُّكُـمُ ٱللَّـهُ وَرَسُـولُهُۥ وَٱلَّذِيـنَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِيـنَ يُقِيمُـونَ ٱلصَّلَـوٰةَ وَيُؤۡتُـونَ ٱلزَّكَـوٰةَ وَهُـمۡ رَٰكِعُـونَ (55) وَمَـن يَتَـوَلَّ ٱللَّـهَ وَرَسُـولَهُۥ وَٱلَّذِيـنَ ءَامَنُـواْ فَـإِنَّ حِـزۡبَ ٱللَّـهِ هُـمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[المائـدة: 55 ـ 56].

إن للغلبـة والنـصر سُـننًا وقوانـين، كـما أن للهزيمـة والفشـل عِلـلًا وبراهـين. أما مهمـة الناصحـين ووظيفـة المصلحـين فهـي التـواصي بالصـبر عـلى أقـدار اللـه، واليقـين في موعـود اللـه، فبالصـبر واليقـين يتحقـق النـصر وتُنـال الإمامـة في الديـن، كـما قـال سـبحانه عـن أقـوام سـابقين: ﴿وَجَعَلۡنَـا مِنۡهُـمۡ أَئِمَّـةً يَهۡـدُونَ بِأَمۡرِنَـا لَـمَّا صَبَرُوا وَكَانُـوا بِآيَاتِنَـا يُوقِنُـونَ ۚ﴾ [السـجدة:24].

وعندمـا وقعـت مصيبـة يـومِ أُحُـد، تسـاءل أصحـاب الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم عـن أسـباب عـدم النـصر فيهـا قائلـين: ﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾، أي: كيـف حـدث هـذا؟! ومـن أيـن جـاء البـلاء؟! فجاءهـم الجـواب – رغـم كونهـم خـير الأصحـاب لخـير الأنبيـاء -: ﴿ قُـلۡ هُـوَ مِـنۡ عِنـدِ أَنفُسِـكُمۡ﴾ [آل عمـران: 165].

والعجـب - كل العجـب - أننـا في عصرنـا، ورغـم كـثرة مصائبنـا، لا يـكاد أكثرنـا يتسـاءل مجـرد تسـاؤل ﴿ أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾، ويُكتفـي بالإغـراق في التشـاؤم أو الإيغـال في التفـاؤل! دون نظـر معتـبَرٍ في معرفـة الدَّخَـل وكيفيـة معالجـة الخَلـل! لذلـك يلـزم الرجـوع بالنظـر إلى كيـان اعتبـاري، يمثـل نموذجًـا في الرشـادة الإنسـانية المتجـددة.

ولأن الأمـور لا تقـاس إلا بـشيء قابـل للقيـاس؛ فقـد وجـه القـرآن للاقتـداء بعـد النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم بصحابتـه، فجـاء الخطـاب إلى أهـل الكتـاب: ﴿ فَـإِنۡ ءَامَنُـواْ بِمِثۡـلِ مَـآ ءَامَنتُـم بِـهِۦ فَقَـدِ ٱهۡتَـدَواْ﴾ [البقـرة: 137]؛ فأتبـاع خاتـم الأنبيـاء أهـل للاهتـداء، ولذلـك ندبنـا نبينـا إلى الاقتـداء بعـد هديـه بهـدي أصحابـه فقـال: (عليكـم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهديـين مـن بعـدي)(١)، وخلفاؤه الراشـدون هـم أتباعـه بإحسـان إلى يـوم الديـن، وفي مقدمتهـم الصحابـة الكـرام، وخيارهـم: أبوبكـر وعمـر وعثـمان وعـلي، رضي اللـه عنهـم جميعًـا.

ويصـدق عـلى هـؤلاء ومـن يجـيء بعدهـم وعـلى منهاجهـم وصـف (الطائفـة المنصـورة)، التـي لا يخلـو منهـا زمـان بعـد بعثـة النبـي عليـه الصـلاة والسـلام؛ لذلـك كانـت نموذجًـا معياريًـا ـ علميًـا وعمليًـا ، يمثـل النمـط المطلـوب في التغيـير عنـد تقلبـات الزمـن، والمثـال الواقعـي في مواجهـة المحـن؛ فهـي باقيـة عـلى مـر الزمـان إلى آخـر الزمـان، بـل مـن بدايـة قديـم الأزمـان؛ لإنهـا تمثِّـل الامتـداد الطبيعـي لمـن وصفـوا في القـرآن بأنهـم: ﴿ أُوْلُـواْ بَقِيَّـةٍ﴾ في قـول اللـه تعـالى: ﴿ فَلَـوۡلَا كَانَ مِـنَ ٱلۡقُـرُونِ مِـن قَبۡلِكُـمۡ أُوْلُـواْ بَقِيَّـةٍ يَنۡهَـوۡنَ عَـنِ ٱلۡفَسَـادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيـلٗا مِّمَّـنۡ أَنجَيۡنَـا مِنۡهُـمۡ﴾ [هـود: 116]؛ فالطائفـة المنصـورة أو الفرقـة الناجيـة لهـا امتـداد ضـارب في أعـماق التاريـخ ؛ لأن أتبـاع كل ملـة عندمـا كانـت عـلى النهـج الصحيـح، هـم فرقـة ناجيـة، كـما دل عـلى ذلـك حديـث افـتراق الأمـم المشـهور، حيـث جـاء اسـتثناء فرقـة مـن كل ملـة(كلهـا في النـار إلا واحـدة)(٢).

لكـن أحاديـث الطائفـة المنصـورة المتواتـرة، تثبـت أن هنـاك كيانًـا يتجـدد ويُجـدِّد ، يتكـوَّن ويُكـوِّن، يتغيَّر ويُغـيِّر، يُنـصر وينتـصر.

ومـع هـذا فـإن (الطائفـة المنصـورة) ليسـت مسـتقبلًا غيبيًّـا يُنْتَظـر، ولا تاريخًـا ماضيًـا للذكـرى والعِـبَر، ولا هـي تنظـير مثـالي موضـوع لجـدلٍ بـلا عمـل، بـل إن امتثـال صفاتهـا وخصائصهـا الشرعيـة

---

(١) [صحيح بطرقه. أخرجه أحمد (17145)، وأبو داود (4607)]
(٢) [صحيح ، السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم: 204].

والعقدية سبيل مأمون ونهج مضمون لصلاح الدنيا والدين والنجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين، وما ذلك إلا لأن الوحيَ المعصوم أخبر عن امتدادها ودوام وجودها، وأوجب الالتزام بفئتها وطريقها؛ لكونها خاصة وخلاصة عموم (الفرقة الناجية).

وفي ظروف الأمة المعاصرة والراهنة لا شك أننا نحتاج إلى تكرار التذكير بضرورة تدبُّر خطاب الوحي في السُّنة الشريفة عن خصائص تلك (الطائفة المختارة) من (الفرقة المختارة) من (الأمة المختارة)، فهي خيار من خيار من خيار؛ ولذلك قلنا إنها تمثل النموذج المعياري المتجدد للتغيير، فخصائصها النظرية كالميزان الذي تُوزن به الكيانات من الناحية العملية، وهي كالبوصلة التي تشير باتجاه النهج الواقعي القويم، دون حاجة لغلو فئات في تنزيه جماعاتهم، أو مبالغة آخرين في النيل من مخالفيهم.

ولا جدال في أن الطائفة المنصورة تمثل جزءًا خاصًا من عموم أهل السنة الذين يمثلون السواد الأعظم والعدد الأكبر في الأمة، من حيث الانتشار السكاني والانتماء المذهبي العام؛ فالمذاهب العقدية المنحرفة بالنسبة لمجموع الأمة مجرَّد أقليات، وإن تسلَّط بعضها وتجبَّر. ولا يقولن أحدٌ إن مذهب الأشعرية مثلاً هو السائد وأن أهله هم السواد الأعظم في الأمة؛ فإن عموم العوام لا يعرفون ما هي الأشعرية ولا من هو الأشعري، وإنما يعرفون ويحترمون بفطرة التدين أئمة الأمة العظام من أهل الحديث وأصحاب المذاهب الفقهية الكبرى المتبوعة، ولا شك أنهم جميعًا من خاصة أهل السُّنة، وجميعهم بفضل الله على مذهب سلف الأمة من الصحابة فمن بعدهم؛ ولذلك فإن تقريب العوام إلى معتقد الطائفة المنصورة من أهل السنة يعد أسهل لو قُرب لعوام الناس؛ لفطريته وسهولته، ومسايرته لروح الوحي وطبيعة الرسالة.

وإذا كان أصحاب المشروعات التي يُراد إنجاحها يضعون لأنفسهم غايات مثالية في صور نموذجية، فلا يُعد هذا إخلالًا بالواقعية؛ فإن الواقع أيضًا يشهد بأن التواضع في الأهداف لا يلد إلا تواضعًا في النتائج، وطبائع الأمور تقضي بأن مَن يبتغي التمام ويعمل على أساسه ويبذل أسبابه، سيصيبه أو يقترب منه، على عكس مَن سيرجع من سعيه للأدنى بالنصيب الأدنى أو ينزل عنه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا»[٣]، ومعنى: « سددوا »، أي: الزموا السداد، وهو الصواب والتوسط في العمل من غير إفراط ولا تفريط، و« قاربوا » يعني: إذا لم تستطيعوا عمل الأكملِ فاعملوا ما يقرُب منه، وهو تشبيه لمن يسدِّد سهامه لقلب الهدف، فإن لم يصبْه فإنه يقترب منه.

وأحسب أن استحضار المعيار بنموذجٍ مثالي يعمل العاملون على أساس الوصول لمثله، ينبغي أن يكون نُصب أعين الساعين لنصرة الدين، منطلقين من مشروع واحد، يستلهم الوعد ببقاء طائفة من الأمة تبقى على الحق لنصرته قولًا وفعلًا وحالًا، بصورة تعاون جماعي على الخير، فالعمل الجماعي ليس سُبة ولا عيبًا؛ فالأحاديث تثبت لذاك الكيان المتجدد أوصاف (طائفة) و(جماعة) و(عصبة أو عصابة)، وأقرب ما يمثل تلك الأوصاف في عصرنا، ما يوصف بـ(التيار أو الصف) الذي يجتمع، وليس مجرد أفراد متناثرين في مختلف المجالات والميادين. إن (الطائفة المنصورة) التي صحَّت بخبرها الأحاديث هي ذاتُ صفات وسمات، تجعل مَن يتسم بها أولى بحمل اسمها، فهي ليست خاصة بمكان أو زمان أو صنف من بني الإنسان، إلا من يحملون أوصافها، ويتحلون بخصائصها.

وقد كان لأهل هذه الطائفة وجودٌ ظاهر عبر التاريخ الإسلامي، فالنبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بـ(الظهور) ظهور التمكين وظهور التبيين، إما بالقوة والسِّنان، وإما بالحجة والبيان، أو بهما معًا، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ كَذلكَ»[٤].

إن حمل وامتثال وتطبيق الصفات والمؤهلات والعوامل التي تتميز بها الطائفة المنصورة في الأحاديث.. يُعد تأسيسًا يوصل ـ ولا بد ـ لنجاح أي عمل يقوم عليه، ويعطي مشروعية لأي مشروع ينتسب إليه؛ لأن هذا العمل وتلك المشروعية تعني في النهاية (أخذ الدين بقوة)، وهو ما أمر الله به الأنبياء وأتباع الأنبياء، فأتباع موسى عليه السلام أُمروا بذلك إبَّان منشئهم كأمةٍ مفضَّلة على العالمين في زمانهم؛ وذلك في قوله عز وجل: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٨) ومسلم (٢٨١٦).
(٤) رواه مسلم (١٩٢٠).

﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 63]. وقد نادى الله تعالى يحيى عليه السلام بشخصه قائلًا له: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: 12].

وأخْذ الدين بقوة علميًّا وعمليًّا ليس أمرًا خاصًّا ببني إسرائيل أيام موسى عليه السلام، أو في زمان يحيى، بل هو- بداهةً ـ تكليف لكل المكلَّفين، منفردين أو مجتمعين، وهذا الأخذ للدين بقوة هو عبارة عن أمور يتوجب امتثالها شرعًا، ولا تُنتظر على سبيل التمني قدرًا.

والطائفة المنصورة المذكورة في الخبر المتواتر عنها، هي مثالٌ ومعيارٌ لأخذ الدين بقوة؛ لأن صفاتها تمثل خطوطًا قابلة للتحوّل إلى خطوات، باطنها الإخلاص وظاهرها المتابعة ؛ لتصحيح المسار المؤهِّل لتحقيق النصر والعزة للمسلمين، وأهم من ذلك النجاة يوم الدين.

ولأن خصائص الطائفة المنصورة وصفاتها تُستفاد من الأحاديث الصحيحة الصريحة الواردة بشأنها، ومن آيات وأحاديث أخرى أشارت إليها وفُسِّرت بها، فمن المهم إيراد أبرزها هنا ؛ باعتبارها كلمات هدى أوحاها الله تعالى إلى نبيه الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم؛ وهو ما يجعلها جديرة بالتأمل والتفكر، واستخراج الفوائد والفرائد والعِبر ؛ ولذلك أيضًا لا ينبغي أن يمر عليها قارئُها مرورًا عابرًا، بل لا بد أن نجتهد جميعًا في فهم معاني ما يستخرج منها ومن غيرها من المؤهلات المطلوبة للنصر والعز، عسانا نكون من أهلها، النائلين شرف الانتساب لها والدعوة إليها.

صفات جيل التأهيل لنهضة إسلامية:

هذه الباقة من مشكاة النبوة تتحدث عن صفات أقرب الطوائف تأهلًا لتقريب زوال ملك الجبرية، وزمان الخلافة عل منهاج السنة النبوية، ومن ذلك الأحاديث التالية :

*قوله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وهُمْ كَذلكَ»(٥).

*وقوله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلونَ علَى الحقِّ ظاهِرينَ إلى يومِ القيامَةِ» قال:«فيَنْزِلُ عيسَى بنُ مَريَمَ صلى الله عليه وسلم فيقولُ أميرُهُم: تَعالَ صَلِّ لنا، فيقول: لا؛ إنّ بَعضَكُم علَى بعضٍ أُمَراءُ، تَكرِمَةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ»(٦).

* وقوله ﷺ: «لَن يَبرحَ هذا الدِّينُ قائمًا، يُقاتلُ عليهِ عِصابةٌ منَ المُسلمينَ، حتَّى تقومَ السَّاعةُ»(٧).

* وقوله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلونَ علَى الحقِّ ظَاهِرينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ»(٨).

* وقوله ﷺ: « إنَّما أخافُ علَى أمَّتي الأئمَّةَ المضلِّينَ، ولا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي علَى الحقِّ ظاهرينَ لا يضرُّهم من خذلهم حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ »(٩).

* وقوله ﷺ: « لا يزالُ من أمَّتي أمةٌ يقاتلونَ على الحقِّ، ويزيغُ اللَّهُ لَهم قُلوبَ أقوامٍ، ويرزقُهم منْهم حتَّى تقومَ السَّاعةُ وحتَّى يأتِيَ وعدُ اللَّهِ»(١٠).

* وقوله ﷺ: « لا تزالُ طائِفَةٌ مِنْ أمتي ظاهرينَ عَلى الحقِّ لعدوِّهم قَاهِرينَ، لا يَضرُّهم مَنْ خَالفَهُم إلا ما أصَابهم مِنْ لأْواءَ، فهُم كالإناءِ بين الأكَلَةِ حتى يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم كذلك ». قالوا: يا رسُولَ اللهِ، وأيْنَ هُمْ؟ قال: « ببيتِ المقْدسِ وأكنافِ بيتِ المقدسِ »(١١).

* وقوله ﷺ: « لا تزال عصابةٌ من أمَّتي يُقاتِلونَ على أبوابِ دِمَشْقَ وما حولَه وعلى أبوابِ بيتِ المقدسِ وما حولَه، لا يضرُّهم خِذلانُ مَن خذَلهم، ظاهِرينَ على الحقِّ إلى أن تقومَ السَّاعةُ »(١٢).

* وقوله ﷺ: « لا يزالُ اللَّهُ يغرسُ في هذا الدِّينِ غرسًا يستعملُهم في طاعتِه »(١٣).

النموذج المعياري وخصائصه:

إن تدبُّر وتفهُّم أحاديث (الطائفة المنصورة) واجب من واجبات مرحلة الوهن التي يعيشها المسلمون؛ ليَرَوا أين موقعهم اليوم منها، وليكون تدبيرُهم لطريقة سيرهم مبنيًا على تدبرهم لمعانيها، فيصححون ـ أفرادًا وجماعات ومجتمعات ـ مسيرتهم في ضوء صفاتها، ويقوِّمون أحوالهم وَفق خصائصها، وإلا... فالبَون سيظل واسعًا، والطريق سيكون وعرًا طويلًا، وغير موصل في النهاية.

وإذا كان كثير من أصحاب الاتجاهات الإسلامية ينحون نحو (المراجعات) في مرحلة ما بعد الأحداث الكبرى، ولسان حالهم بعضهم يقول: (أَنَّى هَـذَا)؟!.. فإن كل مراجعة ستحتاج إلى استحضار ركنَي القبول للأعمال، وهما "الإخلاص" و"المتابعة" ؛ حتى لا تتحول

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).
(٦) رواه مسلم (١٥٦).
(٧) رواه مسلم (١٩٢٢).
(٨) رواه أبو داود (٢٤٨٤)، وصححه الألباني.
(٩) رواه الترمذي (٢٢٢٩) وصححه.
(١٠) رواه النسائي (٣٥٦١)، وصححه الألباني.
(١١) رواه ابن جرير الطبري في مسند عمر (٢/ ٨٢٣)، بإسناد صحيح.
(١٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٧) وصححه الهيثمي.
(١٣) رواه ابن ماجه (٨)، وصححه الألباني.

ظاهـرة (المراجعـات) إلى (تراجعـات) يتقـاذف أصحابهـا تهـمَ التسـبُّب في الهزائـم والانكسـارات!

نحتـاج لـكي نُسـدِّد ونُقـارِب أن نسـتحضر النمـوذج المعيـاريَّ الـذي تُقـاس عليـه المناهـج، وتُقَـوَّم مـن خلالـه التجـارب، وتنضبـط بـه طـرق السـير، ولا أدلَّ وأجـلَّ في الوصـول لذلـك مـن تدبُّـر خطـاب وحـيٍ عـن هـذه الطائفـة المختـارة مـن الأمـة المختـارة، التـي جمـع اللـه لهـا – عـلى لسـان المبُـشِّر بهـا صـلى اللـه عليـه وسـلم - بـين وعـد الانتصـار في الدنيـا، وعهـد النجـاة في الآخـرة. ولـن يتـأتَّى التـشرُّف بالانتسـاب لهـذه الطائفـة إلا مـن خـلال اسـتيفاء المسـتطاع مـن خلالهـا وخصائصهـا وصفاتهـا، التـي نجدهـا منثـورةً في مفـردات الأحاديـث المذكـورة.

وأبـرز مـا يظهـر منهـا اثنتـا عـشرة، سـأذكرها للتذكـير بهـا؛ وللتعريـف بـضرورة اسـتلهامها وامتثالهـا، وللتحذيـر أيضًـا مـن خطـورة تجاهلهـا، والتجهُّـم لهـا والاسـتخفاف بهـا، **وهـي:**

الخاصيـة الأولى: الاجتمـاع العلمـي في النظـر والاسـتدلال عـلى نقـاء المنهـج، فقـد وصفتهـا الأحاديـث بأنهـا (طائفـة) عـلى (الحـق)، ولا يكـون منهجهـا حقًّـا إلا إذا كان نقيًّـا في العقيـدة والشريعـة والسـلوك، وخاليًـا مـن كل مـا يناقـض ذلـك الحـق، سـواء كان غلـوًّا في الديـن أو تفريطًـا في ثوابتـه.



والخاصيـة الثانيـة: قيامهـا عمليًـا بهـذا المنهج، تطبيقًـا وتحقيقًـا عـلى النفـس والنـاس بقـدر الاسـتطاعة، فقـد يكـون المنهـج سـليمًا في ذاتـه مـن الناحيـة النظريـة، ولكـن أهلـه لا يقومـون بـه مـن الناحيـة العمليـة، لذلـك فالطائفـة المنصـورة وُصفـت بأنهـا «قائمـة بأمـر اللـه»، وأن أهلهـا «قائمـين عـلى الحـق» و«قائمـين عـلى الديـن»، وهـذا معنـاه إقامـة المسـتطاع مـن شُـعَب الإيمـان، التـي تتكـوَّن مـن مجموعهـا شريعـة الرحمـن جـل وعـلا.



والخاصيـة الثالثـة: هـي الثبـات العلمـي والعمـلي في القيـام بهـذا الحـق، فقـد تقـوم طائفـة عـلى الحـق ثـم يطـرأ عليهـا التفريـط أو التخليـط فتسـتحق الإعـراض والإهـمال مـن الخَلـق، والاسـتبدال والتغيـير مـن الحـق سـبحانه، أمـا الفئـة الباقيـة عـلى العهـد فهـي «لا تـزال... قائمـة بأمـر اللـه»، وهـي تأمـر لأجـل ذلـك بالمعـروف، وتنهـى عـن المنكـر، وهـو مايؤهلهـا في زمـان الجـبر والجـبروت لمواجهـة الأئمـة المضلـين؛ لقـول سـيد المرسـلين صـلى اللـه عليـه وسـلم: «إنمـا أخـاف عـلى أمتـي الأئمـة المضلـين، ولا تـزال طائفـة مـن أمتـي عـلى الحـق ظاهريـن» (١٤).

والخاصيـة الرابعـة: (الظهـور) بمعنـى الانتصـار للحـق عِلـمًا وعمـلًا، فأهلهـا الذيـن هـم «عـلى الحـق ظاهريـن»... تظهـر ثمـرة ظهورهـم في كونهـم «لعدوهـم قاهريـن»، وظهورهـم يجمـع بـين كونـه علميًّـا نظريًّـا بالحجـة والبيـان، وعمليًّـا في سـاحة الميـدان، بمـا يناسـب مفاهيـم القـوة في كل زمـان.

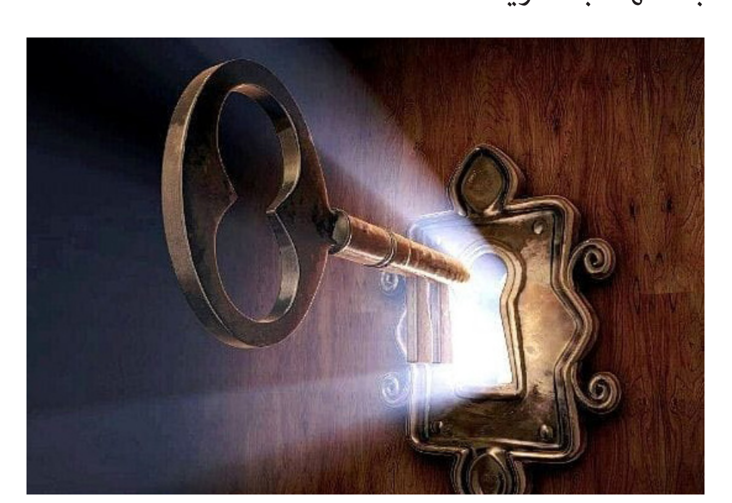
والخاصيـة الخامسـة: إقـدام أهـل هـذه الطائفـة وشـجاعتهم في افتـداء الحـق الـذي يحملونـه بالـروح بعـد الـدم، بعـد الدعـوة إليـه والمفاصلـة عليـه، وهـم يفعلـون ذلـك لأجـل أنـه الحـق: «يقاتلـون عـلى الحـق»... في جهـاد مـشروع، ليـس لحَمِيَّـة ولا عصبيـة، ولا تحـت رايـة عِمِّيـة، ودون تلبـسٍ بغلـوٍ، ولا رغبـة

(١٤) رواه الترمذي (٢٢٢٩) وصححه.

في تجبرٍ وعلو، وإنما قتالهم المستوفي لموجباته ومسوغاته- هو لله وفي سبيل الله.

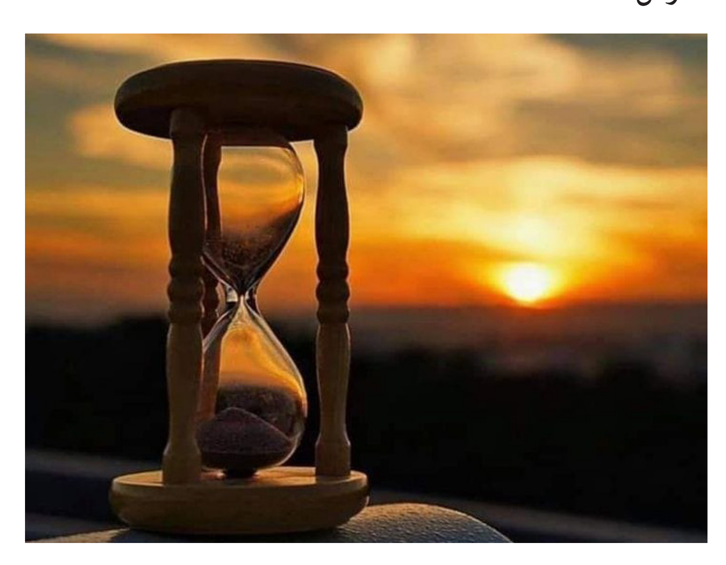
والخاصية السادسة: أن أهلها لا يمكن أن يكونوا على طريق غير طريق السنة، فهم على سبيلها غير سالكين السُّبل المفرقة عنها، بل دأبهم ودربهم هو هدي النبوة، في الثبات على المحكمات والذود عن الحرمات وحماية المقدسات ؛ ولذلك فإن المجددين للدين – أفرادًا وجماعات - لم ولن يكونوا إلا من هذه الطائفة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم، «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»(١٥)، ولا يتجدد الدين بحق إلا على يد طائفة الحق القائمة على الحق.

والخاصية السابعة: أن أهل تلك الطائفة يقيم الله بهم الحجةَ على الناس، كما كان الشأن طوال التاريخ، فهي متواصلة الوجود على مر الزمن، ولما افترقت اليهود والنصارى كانت من فِرَقهم طائفة ناجية، كما دل حديث الافتراق السابق ذكره، وأهل الكتاب يؤمنون بمقتضى ما بقي في كتبهم من حقٍ بما يسمونه: (البقية المختارة) التي ستظل في الوجود حتى عودة المسيح، لكنهم بالطبع ليس لهم في هؤلاء من نصيب ؛ لنسخ ديانتهم بعد بطلانها بالتحريف.



والخاصية الثامنة: أنه، وكما أن وجودها متواصل زمانًا، فإن خير أجيالها هم أخيار هذه الأمة منذ جيل الصحابة إلى كل جيل بعدهم يهتدي بهديهم، ولذلك جاء في الحديث الوصف بأنهم (طائفة من أمتي).

والخاصية التاسعة: أنها لا تحدها حدود مكانية، لا (سايكس ـ بيكو) ولا غيرها، فليس لها مكان خاص ولا بلد معين، قال الإمام النووي: «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»(١٧).



غير أن تلك الطائفة تتجمع كلما اقترب الزمان في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وفي دمشق وعلى أبواب دمشق، كما جاء في روايات الأحاديث (قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال هم ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)

والخاصية العاشرة: أن أصحاب هذه الطائفة المنصورة باقون في هذه الأمة، حتى يعيدَ جيلٌ منهم الخلافةَ على منهاج النبوة، وحتى يكون جيل من أنصار المهدي الذي تواترت الأحاديث بخروجه من ولد فاطمة رضي الله عنها، وحتى يكون من أصحاب تلك الطائفة أنصار عيسى ابن مريم عليه السلام، الذين يصلون خلفه، ويقاتلون معه حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال، عندما ينزل، وعليهم أمير منهم، كما دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال).

الخاصية الحادية عشرة: أن أصحاب تلك الطائفة ثابتون مصابرون مرابطون، «لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، برغم كثرة مخالفيهم والطاعنين فيهم، ولا يؤثر في ثباتهم ما يلاقون من خذلان وابتلاء «إلا ما يصيبهم من لأواء»، **أي:** مشقة وعَنَت في مواجهة الباطل، وشدة أهله عليهم بالتضييق أو التشريد أو التهجير أو التقتيل والتمثيل ؛ وكل ذلك زيادة في قدرهم ورفعة لدرجاتهم.

والخاصية الثانية عشرة: أن هذه الطائفة يثبتها الله في الآخرة؛ لثباتها على القول الثابت في الحياة الدنيا، فهي على طريق النجاة والجنة، لإخلاصها

(١٥) أخرجه أبو داود (٣٧٤٠) والحاكم وصححه ٢٢/٤) وصححه الألباني في السلسلة (٥٩٩)

لله وإتباعها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا كان وصف أهلها الجدير بها (الفرقة الناجية) ووصف غيرها فرق هالكة أو على سبيل هلاك (كلها في النار إلا واحدة).



وخلاصة أهل السنة الذين تمثلهم الطائفة المنصورة، هم في مقدمة الناجين، وفي الحديث: «والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: «الجماعة»(١٦).

***

(١٦) رواه أبو داود برقم (٤٢٩١) وصححه الألباني.



من ألطاف النصر الإلهي

د.محمد وفيق زين العابدين

من دقائق الشريعة ومعانيها العظيمة.. أنها لا تترك شيئًا أساسيًّا في حياة الناس ـ معنويًا كان أو ماديًا ـ إلا ربطته بمعنى ديني عقدي أو تزكوي تربوي!

انظر مثلًا لموضوع "النصر" ولاحظ تعبير القرآن بـ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ " [الأنفال : ١٠] .. وكيف أنه يرتبط لزومًا ويُشتق من اسم من أعظم أسماء الله تعالى "النصير".. الذي يأمر القرآن بأن يُتخذ وليًّا ويُبتغى منه النصر؛ لأن القوة كلها لله تعالى، وهو الذي أوجدها في أيدي الناس وفي نفوسهم، وهو القادر على سلبها منهم وتعطيلها في أيديهم واستبدالهم فيها!

وكيف يُؤكد الشرع على أن القلق من النصر يرجع إلى الخلل في التوكل، إما بالإشراك بالله في الاعتمادية، أو عدم الأخذ الكافي بالأسباب.. فالنصر قضية لا يمكن فصل البُعد العقدي فيها عن المادي!

وتفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : "هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ"؟!(١) أي ضعفائكم في الحال لا في الإيمان، فالذي نفعهم هو الإيمان، ولم ينفعهم وحدهم بل نفعهم ونفع كل المؤمنين.. وكان بعض السلف يقول: "اتقوا مجانيق الضعفاء" أي دعواتهم.. لأنهم أشد إخلاصًا لخلو قلوبهم من التعلق، وبُعدهم عن الركون لأنفسهم..

وتفهم لماذا أن النمرود حين تجبر أهلكه الله عز وجل بمخلوق في غاية الحقارة "ذبابة".. وأن عادًا حين تجبروا واغتروا بقوة أجسادهم عُذبوا بمخلوق في ظاهره أضعف شأنًا هو "الريح"، حتى قال بعض المفسرين : "طارت أجسامهم كالريش"! فلم تثبت أجسادهم في الأرض ، ولم تنفعهم قوتهم!

لذلك كان من أجمع الدعاء الذي علمنا النبي صلى الله عليه وسلم: " اللَّهمَّ أنتَ عَضُدي ونصيري بِكَ أحولُ وبِكَ أصولُ وبِكَ أقاتِلُ "(٢). فبـ "أنت" نُثبت كمال القدرة لله، و بـ "بك" نُثبت تمام العجز لأنفسنا .

(١) [صحيح البخاري: ٢٨٩٦].
(٢) [صحيح أبي داود: ٢٦٣٢].




أ. عامر عبد المنعم

يريد الأمريكيون والإسرائيليون نزع سلاح غزة واستبعاد حماس بشكل عملي، باستخدام ورقة المجاعة واستشهاد المزيد من الجوعى للضغط على الفلسطينيين، لتأسيس إدارة من العملاء لتسلُّم المساعدات وتوزيعها تحت حماية الجيش الإسرائيلي، وهناك اتفاقات مع دول عربية جهزت العناصر المطلوبة، بل يراهن نتنياهو على بعض الحكومات المُوقعة على اتفاقات أبراهام لتقديم قوات عربية لمساعدة الإسرائيليين.

ولكن كما فشلت كل خطط الاحتلال العسكرية ستفشل خطة استخدام المساعدات سلاحا أمام الصمود الفلسطيني الأسطوري، فالفلسطيني الذي بقي في بيته يرفض التهجير، لا يخاف الموت وينتظر الشهادة، لن تضحك عليه أمريكا بوجبة رغم احتياجه إليها، وتنبع قوة حماس وبأسها من شعب غزة الأشد صلابة، وكما نجحت حماس وحاضنتها الشعبية في كسب المعركة العسكرية والإعلامية فإن الميناء إن لم يستفد منه الشعب الفلسطيني فسيكون مصيره مثل كل الخطط السابقة التي فشلت.

ولأن حماس تعي ما يدبّره الاحتلال ومعاونوه، فقد حذر مسؤول أمني بالحركة من يفكرون في الخيانة والمشاركة مع الاحتلال في مؤامرته، وقال في بيان تحذيري "قبول التواصل مع الاحتلال من مخاتير وعشائر للعمل بقطاع غزة خيانة وطنية لن نسمح بها"، وأكد أن "سعي الاحتلال لاستحداث هيئات تدير غزة مؤامرة فاشلة لن تتحقق".

الحقائق على الأرض تؤكد أن الكلمة في غزة لحماس وفصائل المقاومة، وليست لـ"إسرائيل" ولا لأي دولة تتآمر في العلن أو الخفاء، لكن الصمود الفلسطيني يحتاج إلى دعم عاجل اليوم قبل الغد، وضرورة دخول عنصر أو طرف جديد يُحدث فارقا استراتيجيا يقوي ظهر المقاومة، ويُحدث خلخلة في الموازين العسكرية.

قد يظنون أن الأساطيل والحشود العسكرية كافية للتخويف، لكنهم لا يدركون أن مشاهد الإبادة والمجاعة التي تراها شعوب العالم على الشاشات، تزيد من درجة غليانها يوما بعد يوم في كل أنحاء الأرض، وأن الانفجار سيحدث في لحظة لا يتوقعونها، وفي دول ظنوا أن شعوبها وقواها الحية قد ماتت.

***



طالبان
انتصار في زمن الانكسار

أ.عبد المنعم منيب

في ٣٠ أغسطس ٢٠٢١ أنهت قوات الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون انسحابهم من دولة أفغانستان بعد أن استمر احتلالهم مدة ٢٠ عاما متواصلة، أنفقت الولايات المتحدة فيها ٢ تريليون دولار بغرض قمع المقاومة الأفغانية التي تزعمتها حركة طالبان، وقتل الأمريكان نحو نصف مليون أفغاني فضلا عن الجرحي والأسرى، و اصطنعت الولايات المتحدة جيشا أفغانيا ليتولى محاربة طالبان سواء في وجودها أو بعد انسحابها، لكن هذا الجيش الذي بلغ قوامه ٣٠٠ ألف ضابط وجندي انهار في غضون أيام قليلة فور بدء المرحلة النهائية من انسحاب القوات الأمريكية والغربية.

لقد مثل الانسحاب الأميركي الأوروبي وانهيار الجيش الأفغاني الموالي لهم نصرا مؤزرا لحركة طالبان التي بسطت سيطرتها على دولة أفغانستان بكل مهارة واقتدار، وهذا كله كان بمثابة مفاجأة صادمة للمعسكر الأميركي الأوروبي وحلفائه في العالم كله، كما تسبب في دهشة بقية العالم من منافسي المعسكر الغربي، كما أن هذا الانتصار مثل بارقة أمل لدي أهل السنة في ظل ظلام حالك مليء بانكسارات ظللت غيومها سماء الأمة الإسلامية.

فما سبب هذا الانتصار الطالباني على أعتى القوى العسكرية في تاريخنا المعاصر؟

قد يظن البعض أن هذا أمر مألوف بالنسبة لأفغانستان التي سبق وأن نجحت في دحر قوات الإمبراطورية البريطانية عام ١٨٤٢م، كما نجحت في هزيمة الاتحاد السوفيتي السابق وطرده عام ١٩٨٩، لكن الأمر هذه المرة أعقد وأكبر لأسباب عديدة، لعل أبرزها أن حركة طالبان الأفغانية قادت مقاومة الأفغان للغزو الأميركي وصمدت مقاومتها هذه في وقت انفردت فيه الولايات المتحدة بالهيمنة على العالم كله في ظل نظام دولي أحادي القطبية، وظلت طالبان صامدة في مواجهة الولايات المتحدة قبل أن تبرز قوى دولية أخرى تنافس أمريكا في التأثير في ديناميات النظام الدولي، وفي ظل انشغال الولايات المتحدة بمصارعة المقاومة الإسلامية في أفغانستان والعراق والصومال وغيرها؛ بدأ بزوغ قوى دولية أخرى مثل الصين وروسيا وجنوب أفريقيا والتي لم تبادر الى مزاحمة او منافسة تأثير الهيمنة الامريكية على بعض المناطق إلا بعد نحو ١٥ عاما من احتلال أفغانستان.

> **العملاق الأميركي ظل لنحو ١٥ عامًا لا يقف في وجه طغيانه غير القوى الإسلامية، وفي قلب هذه القوى كانت حركة طالبان أفغانستان**

ومن هنا تأتي بعض جوانب تميز تجربة طالبان العسكرية والسياسية والدعوية والاجتماعية لأنها هي التي نجحت في تحقيق هدفها وإرغام الولايات المتحدة على الانسحاب من أفغانستان بعكس العراق مثلا التي مازال للولايات المتحدة فيها قوات وتأثير ونفوذ حتى الآن.

> **كما تميزت تجربة طالبان أفغانستان في استخدامها للعديد من الأدوات لتحقيق هدفها في التحرير والتمكين، سواء الأدوات العسكرية أو السياسية أو الإعلامية أو الاجتماعية والدعوية، فلم تحصر نفسها وخياراتها في أداة واحدة بل استغلت كل أنواع الأدوات مما مكنها من اقتناص العديد من الفرص وتجنب العديد من المخاطر.**

ويمكن تأمل نجاح حركة طالبان في استخدام هذه الأدوات عبر المحاور التالية:

الأداة العسكرية:

استخدمت حركة طالبان المقاومة المسلحة ضد الغزو الأمريكي منذ بداية الغزو وحتى آخر يوم من انسحاب القوات الامريكية من أفغانستان، لاسيما وأنها أثبتت امتلاكها مهارات سياسية مكنتها من إدراك أن الولايات المتحدة سعت للتلاعب بها عبر المفاوضات من أجل كسب المعارك العسكرية ، ولم تهدف لحل الأزمة عبر المفاوضات منذ مراحلها الأولى. ويمكن ملاحظة المعالم الأساسية في استخدام طالبان للأداة العسكرية:

- **حرب العصابات:**

فقد اعتمدت طالبان بشكل كبير على حرب العصابات في قتالها ضد القوات الأمريكية، وتميزت هذه الاستراتيجية بالهجمات الخاطفة والكمائن والتفجيرات.

- **استخدام الأسلحة الخفيفة و الألغام الأرضية والعبوات الناسفة:**

حيث ركزت طالبان على استخدام الأسلحة الخفيفة مثل الرشاشات والقنابل اليدوية والصواريخ المحمولة على الكتف، والتي كانت مناسبة أكثر لطبيعة التضاريس الجبلية في أفغانستان، كما استخدمت طالبان الألغام الأرضية والعبوات الناسفة بكثافة.

- **توظيف التضاريس الوعرة لأفغانستان:**

فمن الواضح أن طالبان استفادت من معرفتها الجيدة بالتضاريس الجبلية في أفغانستان لشن هجمات مفاجئة على القوات الأمريكية.

- **استخدام الحرب النفسية ضد القوات الغربية والقوى المحلية التابعة لها:**

فقد استخدمت طالبان الحرب النفسية لنشر الخوف بين القوات الأمريكية والحكومة الأفغانية.

الأداة السياسية:

رغم شراسة العمليات الحربية المسلحة ورغم ما يشاع عن تشدد حركة طالبان دينيا وسياسيا؛ لم تهمل حركة طالبان العمل السياسي أبدا، ويمكن ملاحظة المعالم الأساسية في استخدام طالبان للأداة السياسية على النحو التالي:

- **الحرص على حيازة الدعم الشعبي:**

فقد حظيت طالبان بدعم من بعض القبائل الأفغانية، خاصة في المناطق الريفية، مما ساعدها في

الحصول على المعلومات والدعم اللوجستي لمقاتليها، كما استخدمت وسائل الإعلام لنشر الدعاية بين الجمهور وتجنيد مقاتلين جدد.

• التحالفات الداخلية والخارجية:

حيث عقدت طالبان تحالفات مع جماعات محلية قبلية ودينية وعرقية عديدة، كما استفادت من امتدادات القبائل الأفغانية في باكستان وسعت للحصول على دعم بعض الدول الإقليمية مثل باكستان وإيران، وبعض القوى الدولية المتناقضة مع الولايات المتحدة مثل الصين وروسيا الاتحادية وبعض الدول المتعاطفة مع أفغانستان مثل قطر.

•التفاوض مع الولايات المتحدة نفسها :

فلم تتردد طالبان في التفاوض مع الولايات المتحدة سرا وجهرا عندما أتيحت لها الفرصة ، ولكن وفق خطوات واستراتيجيات محسوبة بدقة أدت في النهاية لإجلاء القوات الأمريكية والغربية عن أفغانستان بعد أكثر من عشر سنوات من التفاوض.

ويمكن ملاحظة أهم استراتيجيات طالبان في التفاوض على النحو التالي:

• رفض الاعتراف بالحكومة الأفغانية:

وهي التي نصبتها الولايات المتحدة في أفغانستان ورفض مشاركتها في المفاوضات.

• الصبر الاستراتيجي:

فقد اتبعت طالبان استراتيجية الصبر الاستراتيجي، وانتظرت حتى حان الوقت المناسب للتفاوض مع الولايات المتحدة من موقع قوة.

• الاعتماد على استمرار المقاومة العسكرية:

حيث استمرت طالبان في شن هجمات على القوات الأمريكية وقوات الحكومة الأفغانية خلال فترة المفاوضات، مما ضغط على الولايات المتحدة للوصول إلى اتفاق.

• وحدة حركة طالبان:

فقد حافظت طالبان على وحدة قيادتها خلال المفاوضات، مما ساعدها على الحفاظ على موقف تفاوضي قوي.

• الإصرار على انسحاب القوات الأمريكية:

ركزت طالبان في مفاوضاتها مع الولايات المتحدة على انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، ورفضت تقديم تنازلات جوهرية قبل تحقيق هذا الهدف.

• المطالب المتشددة:

طرحت طالبان مطالب متشددة في بداية المفاوضات، واستخدمت هذه المطالب كأداة ضغط على الولايات المتحدة.

• الاستفادة من الانقسامات الأمريكية:

استغلت طالبان الانقسامات داخل الإدارة الأمريكية حول ملف أفغانستان، وساعد ذلك طالبان في الحصول على تنازلات من الولايات المتحدة.

• استخدام الدبلوماسية:

استخدمت طالبان الدبلوماسية لكسب التأييد الدولي لموقفها التفاوضي.

أداة العمل الاجتماعي والدعوي

رغم كل تعقيدات الصراع والمعارك في أفغانستان ؛ لم تغفل حركة طالبان العمل الاجتماعي والدعوي لإدراكها أنه ركيزة مهمة لقاعدة قوتها وقدراتها الحقيقية، وحددت ببراعة الفئات الاجتماعية المناسبة لاستمالتها نحو تأييد حركة طالبان ، وهي الفئات الريفية والقبلية لعدم تلوثها بمفاهيم التغريب والانحراف عن تعاليم الإسلام ، ولم تقتصر على عرقية البشتون التي هي أغلبية الشعب الأفغاني بل تمددت وانتشرت دعوتها وعملها الاجتماعي الدعوي والخدمي بين الأقليات الإثنية والقبائل الأخرى، حتى رأينا كتائب مسلحة كاملة من كل عرقية تتولى تحرير مناطق عرقيتها، كما حدث على سبيل المثال لا الحصر مع عملية تحرير مدينة قندوز عام ٢٠١٥ ذات الأغلبية الطاجيكية.

> إن انتصار إمارة أفغانستان التي توصف بأنها "حركة" على الولايات المتحدة التي تكاد تكون امبراطورية عالمية، يفوق انتصار الأفغان الأول على الروس عندما غزو أفغانستان عام ١٩٧٩، ذلك لأن الجهاد الأفغاني الأول ضد الروس؛ كانت تدعمه غالب الحكومات العربية والإسلامية بأوامر من أمريكا نكاية في الاتحاد السوفييتي، بينما لم تدعم أي دولة عربية أوإسلامية حركة طالبان بأوامر من أمريكا أيضا، ومما يؤسف له، أن (إمارة أفغانستان) التي تسلمت السلطة بعد انتصار الشعب الأفغاني معها واختياره لها؛ لم تعترف بها أي دولة عربية أو إسلامية أو غير إسلامية حتى اليوم..!!

وعلى كل حال فانتصار حركة طالبان على الولايات المتحدة وحلفائها من أوروبا الغربية والناتو وعملائهم من الأفغان هو أمر جلل، وتحتاج دراسته إلى تأليف كتاب وليس مجرد كتابة مقال.

***



الخوف من سُنَّة الاستبدال

د. محمد عبد الرحمن مكي

جعلَ اللهُ لكلٍّ منّا عمراً مُؤَجلاً؛ ورزقاً مقسوماً مقدَّراً؛ وهدانا فيما أنزله إلينا منهجاً معلوماً مُسطَّراً؛ فهيأنا بعد ذلك ليؤدي كل امرئٍ ما عليه في المدة التي أجَّلها وقضاها .

ثم إنَّ الله تعالى قد جعل من وراء ذلك سنةً من سننِ الله العظيمة الجليلةَ تتعقبنا؛ وسيرةً ماضيةً؛ كانت سبباً في سقوط الأمم والجماعات من قبلنا؛ تتهددنا؛ إنها سنة(الإستبدال)التي قال الله عنها :﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]؛ وقال تعالى أيضاً:﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[التوبة ٣٩].

تأتي هذه السنة بين يدي الإعلان عن القدرة الإلهية التامة على استبدال خلق آخرين؛ بالبشرية جميعاً؛ :﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٣٣]؛ وقوله سبحانه:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم ١٩].

وقولـه تعـالى أيضـاً :﴿يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ أَنْتُـمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ هُـوَ الْغَنِـيُّ الْحَمِيـدُ * إِنْ يَشَـأْ يُذْهِبْكُـمْ وَيَـأْتِ بِخَلْـقٍ جَدِيـدٍ * وَمَـا ذَلِـكَ عَـلَى اللَّـهِ بِعَزِيـزٍ﴾ [فَاطِـر: ١٥-١٧].

سـنَّةُ (الإسـتبدال) هـذه جديـرةٌ أن تزيـل أعظـم حضـارةٍ مـن جذورهـا بعـد حـين فـترةٍ مـن طغيانهـا؛ فكـم مـن أمـم لمـا ظلمـت اسـتبدل اللـهُ أمـماً أخـرى؛ بهـم فحلـوا أرضهـم: كـما قـال تعـالى: ﴿ وَسَـكَنْتُمْ فِي مَسَـاكِنِ الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُـمْ كَيْـفَ فَعَلْنَـا بِهِـمْ وَضَرَبْنَـا لَكُـمُ الْأَمْثَـالَ ﴾[إبراهيـم ٤٥].

وهـذه السـنة لا تكـون في الامـم فحسـب وإنمـا تطـال الأفـراد كذلـك؛ فكـم مـن عـالم سـوءٍ اسـتبدل اللـهُ بـه عالمـاً ربَّانيّـاً ؛ وغنـيٍ بخـل بمالـهِ اسـتبدلَ اللـهُ بـه منفقـاً سـخِيّاً؛ وسـلطانٍ قـوي ضـنَّ بملكـه عـن نـصرة دينـه؛ فـأزال اللـهُ سُـلْطَتَهَ وحكومتـه؛ وأقـام مكانـه مـن وفّقَـهُ اللـهُ في حُكْمِـهِ بـين النّـاسِ إلى العـدلِ بعـد الجَـوْرِ؛ وإلى الإسـتقامة عـلى الطريقـةِ؛ عَقِـبَ الحـوْرِ بعـد الكَـوْرِ.



إنَّ السـبب الأسـاس في هذه السُـنَّة "الاسـتبدال" هـو "التوَلِي" و"الإعـراض "عــن شرائعــه، و"النكــول" و"النكــوص " عــن أوامـره؛ و"التراخـي" و"التباطـؤ" عـن الإنتصـار لدينـه عنـد انتهـاك محارمـه.

وطريـقُ الأمـنِ مـن غائلـةِ هـذه العقوبـة هـو بالمبـادرة إلى التوبـة؛ والعـودة إلى عـرى الإيمـان باللـه: ﴿فَلَـوْلَا كَانَـتْ قَرْيَـةٌ آمَنَـتْ فَنَفَعَهَـا إِيمَانُهَـا إِلَّا قَـوْمَ يُونُسَ لَـمَّا آمَنُـوا كَشَـفْنَا عَنْهُـمْ عَـذَابَ الْخِـزْيِ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَمَتَّعْنَاهُـمْ إِلَى حِـينٍ﴾ [يونـس: ٩٨].
ثـم القيـام بواجـب الدعـوة والجهـاد بمـا في اسـتطاعتنا؛ والوقـوف مـع الطائفـة المنصـورة دون التسـويف بالتطلـع إلى المثاليـة وانتظـام الأحـوال؛ كـما يـروى عـن الشـافعي رحمـه اللـه قولـه :"سـيروا إلى اللـه عُرُجـاً ومكاسـيرَ؛ ولا تنتظـروا الصحـة فـإن انتظـار الصحـة بطالـة"

فـما أحوجنـا إلى القيـام والعمـل مهـما انتابنـا الضعـف؛ وقلـةُ العـون مـن النـاس؛ وشـحُّ الإمكانيـات؛ وأيّـاً مـا كانـت العـثراتُ؛ فـلا بـدَّ أن تتعقّبهـا التصحيحـاتُ، لتقودنـا إلى بـرّ النّجـاة والإصلاحـات .

{وَمَـا كَانَ رَبُّـكَ لِيُهْلِـكَ الْقُـرَى بِظُلْـمٍ وَأَهْلُهَـا مُصْلِحُـونَ}
[هـود: ١١٧].

إن عيـشَ المؤمـنِ ويـدُهُ عـلى قلبـه فرَقـاً مـن أن يسـتبدل اللـه آخريـن؛ بـه؛ وخوفَـهُ مـن تقصـيره وتقاعسـه ، خـيرٌ لـه مـن أن يأمـن مكـر اللـه متماديـاً في غيِّـه؛ حتـى يفْجَـأَهُ المـوتُ؛ ويُذْهِبَـهُ اللـهُ؛ ويـاتِ بآخريـن؛ فيأفـلَ بذلـك عـن الدنيـا متحـسراً .

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه أنَّ رسـول اللـه ﷺ قال:"بـادروا بالأعـمال سـبعا، هـل تنتظـرون إلا فقـرا منسـيا، أو غنـى مطغيـا، أو مرضـا مفسـدا، أو هرمـا مفنـدا، أو موتـا مجهـزا، أو الدجـال فـشر غائـب ينتظـر، أو السـاعة فالسـاعة أدهـى وأمـر" رواه الإمـام مسـلم(١١٨).

***



الشيخ أحمد ياسين..
القعيد الحجة على القاعدين

في فجر يوم ٢٢ مارس/آذار ٢٠٠٠ ـ أي منذ عشرين عامًا ـ أطلقت طائرة أباتشي إسرائيلية ٣ صواريخ، بأمر مباشر من رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق (إريئيل شارون) استهدفت رجلًا مسنًا مقعدًا، قارب السبعين من عمره وذلك عندما جاء على كرسي متحرك ليصلي صلاة الفجر كعادته في جماعة، فأسفرت تلك العملية الموغلة في الإرهاب الإجرامي عن استشهاد الرجل المستهدف مع سبعة من مرافقيه، وجُرح اثنان من أبنائه، فمن هو ذاك الرجل الذي وصلت خطورته على كيان الجبروت إلى الحد الذي استدعى أن يشرف أكبر مسؤوليه بنفسه على عملية قتله؟
إنه الرجل الذي صنع الله به تاريخًا مشرفًا وكيانًا مجاهدًا ومسيرة طويلة من البذل والفداء، إنه البطل القعيد الشهيد بإذن الله الشيخ أحمد إسماعيل ياسين؛ فخر فلسطين، وشامة العرب والمسلمين.

ولد الشيخ في يونيو/حزيران ١٩٣٦ بقرية "الجورة" في مدينة عسقلان، قضاء المجدل، جنوبي قطاع غزة، وتربى يتيمًا بعد أن توفي والده وهو في الخامسة من عمره فتعهدته والدته مع سبعة من إخوته، ونشأ ياسين في ظروف ثورة ضد المحتل الأول لفلسطين وهم الإنجليز، الذين مكنوا لليهود فيها حتى أعلنوا دولتهم بها .

ولما تمكن اليهود في فلسطين هدموا قريته عام ١٩٤٨ وشردوا أهلها، مما اضطره للنزوح مع أسرته إلى قطاع غزة، حيث عانى مع أهله مرارة التهجير وقسوة الفقر .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره، أصيب بشلل شبه تام بسبب كسر في فقرات عنقه، حصل له أثناء مباراة لكرة القدم مع أقرانه على شاطئ بحر غزة، وهو ما اضطره إلى عدم إكمال دراسته بعد الثانوية العامة، ورغم محاولته إكمال دراسته الجامعية بمصر، إلا أنه ذلك لم يتيسر له بسبب ظروفه الصحية ، وكذلك ظروفه الأمنية، حيث تعرض للاعتقال عدة مرات.



كان الشيخ في شبابه يعول أسرة من زوجة وأحد عشر من الأبناء، منهم ثماني بنات، مع دخل مادي ضعيف، من وظيفة متواضعة لتدريس الغة العربية.

العمل الخيري على طريق البناء الدعوي:

اتجه الشيخ للعمل الخيري المنظم عن طريق المؤسسات الرسمية المتاحة، وتطور هذا النشاط مع همة الشيخ المتوقدة، فكان له دور كبير في الخدمات الاجتماعية ذات المردود التربوي الهادف لتربية جيل التحرير، في محاضن الكثير من مساجد غزة التي حولها الشيخ إلى محاضن تربوية لمختلف الأعمار، وهو مابث في أجيال روح الصمود والجهاد.

وقد حبا الله الشيخ موهبة التحدث السلس، مع براعة خطابية وأسلوب تربوي مؤثر، وهو ما جعل منه شخصية آسرة ومؤثرة، جمعت حوله الشباب قبل الرجال في كل مدن القطاع، لذلك وضعت سلطات الاحتلال الشيخ ياسين تحت المراقبة والرصد والتضييق، وهو ما انتهى إلى اعتقاله مرات عديدة، كان أشدها ما خضع فيه للحبس عامًا كاملًا، ولم يطلق سراحه إلا بعد عملية لتبادل الأسرى، ووساطة من الملك حسين، ملك الأردن السابق، حيث خرج الشيخ بعد الأسر إلى الأردن لتلقي العلاج، واستقبله الملك بنفسه حينها، وبعد مدة علاجية قصيرة عاد الشيخ القعيد إلى غزة الصمود.

الانتقال إلى طريق الجهاد والنضال:

كان الشيخ أحمد ياسين قد أسس الجمعية الإسلامية عام ١٩٧٦ لتنشط إلى جانب العمل الخيري في تربية الشباب على القيم الإسلامية، وكان قبل ذلك قد ساهم في تأسيس المجمع الإسلامي بالقطاع عام ١٩٧٣ وعمل رئيسا له ، ثم تطور نشاطه الدعوي إلى عمل حركي مقاوم، حيث أسس الشيخ حركة المقاومة الإسلامية المعروفة اختصارًا بـ (حماس) والتي كان لها ارتباط بجماعة الإخوان المسلمين في الأردن ، وذلك عام ١٩٨٢، وبذل الشيخ مساعيه لجلب الدعم الخارجي للحركة ، لتأهيلها الحركة للعمل العسكري والأمني.

وفي ١٤ ديسمبر/كانون الأول، صدر أول بيان للحركة يدعو الشعب الفلسطيني إلى الوقوف في وجه الاحتلال الإسرائيلي، ويهيب بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر من العصابات الصهيونية.

وقد رفض الشيخ منذ فترة السبعينيات فكرة المقاومة من داخل البلاد العربية، معللا ذلك بأنها ستصنع عداوات لا داعي لها مع الحكومات العربية.

محطات في حياة الشيخ القعيد:

• اعتقل أحمد ياسين فترة شبابه مرتين على يد النظام المصري في خمسينيات وستينيات القرن الماضي .

• واعتقل عام ١٩٨٤ في غزة بتهمة حيازة أسلحة، ولكن أفرج عنه بعد عام ، خلال عملية لتبادل الأسرى، فعاد للعمل الدعوي وقيادة المقاومة.

• مع اندلاع الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م ؛ قرر الشيخ دخول الحركة في مرحلة جديدة من المقاومة المسلحة للاحتلال عن طريق العمل المسلح والمظاهرات وتأسيس

تنظيم جديد.

• اعتقل مرة أخرى في مايو/أيار ١٩٨٩، ووجهت له لائحة اتهام ، وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالسجن مدى الحياة و١٥ عاما إضافية. ، ولكن كتائب عز الدين القسام عرضت الإفراج عنه ضمن صفقة لتبادل أسرى لدى سلطات الاحتلال مقابل الإفراج عن جندي إسرائيلي أسرته في ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٢، إلا الحكومة الإسرائيلية رفضت العرض واقتحمت المنزل الذي احتجز فيه الجندي، مما أدى إلى مقتله.

• جرت عدة محاولات أخرى لإطلاق سراحه، إلى أن تحقق ذلك في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٧ بموجب عملية لتبادل السجناء بين الأردن وإسرائيل، حيث أفرج عنه مقابل تسليم عميلين للموساد اعتقلا في الأردن بعد محاولة فاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسي السابق لحركة حماس (خالد مشعل).

• فرضت السلطة الفلسطينية الإقامة الجبرية على أحمد ياسين بسبب اختلافه معها حول عدد من القضايا الوطنية. وذلك عام ١٩٩٨ حيث كان الشيخ قد اعترض علنًا ، اتفاقية "واي ريفر".

• وفي ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠١ فرضت عليه الإقامة الجبرية مرة أخرى من السلطة الفلسطينية، التي شنت وقتها حملة للتصدي الأمني لنشاط حركات المقاومة.



• اندلعت مواجهات بين عدد من المحتشدين وبين قوات أمن السلطة حول منزل الشيخ لكسر الإقامة الجبرية، وأسفرت عن استشهاد فلسطيني وإصابة عشرات آخرين.

• فرضت السلطة الفلسطينية الإقامة الجبرية على الشيخ مرة رابعة في يونيو/حزيران ٢٠٠٢.

•تعرض الشيخ لعدة محاولات اغتيال فاشلة، الأولى كانت في شهر رمضان ١٤٢٢هـ الموافق يناير/كانون الثاني ٢٠٠٢ بمسجد الرحمة في منطقة الصبرة، حيث استهدفته مروحيات الاحتلال الإسرائيلي، لكنه نجا منها بفضل الله.

• جرى استهداف الشيخ مرة أخرى يوم ٦ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٣، إذ تعقبته المروحيات الإسرائيلية خلال وجوده بمبنى سكني في غزة برفقة القيادي في الحركة إسماعيل هنية، مما أدى إلى إصابته بجروح طفيفة في ذراعه اليمنى وإصابة ١٥ فلسطينيا كانوا في المبنى نفسه.

• في ذات العام أدرجت الولايات المتحدة الأمريكية في عهد جورج بوش الابن؛ اسم الشيخ أحمد ياسين ضمن قوائمها للإرهاب.

• وفي آخر المطاف، وبعد حياة حافلة بالعطاء والفداء، ارتقى الشيخ شهيدا ـ كما نحسبه والله حسيبه ـ في يوم ٢٢ مارس/آذار ٢٠٠٤ إثر اغتياله بثلاثة صواريخ من طائرة أباتشي إسرائيلية، وذلك أثناء خروجه من المسجد بعد تأديته صلاة الفجر، وصعدت روحه من على كرسية المتحرك وتحول جسده إلى أشلاء تشكو لربها طغيان أشد الناس عداوة للذين آمنوا، أعداء الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال.

رحم الله الشيخ الشهيد الذي أسس ـ بفضل من الله ـ لتحرير القدس دعائم راسخة، ورعي لإنقاذ الأقصى براعم منتشرة، وجعل الله دماء الشيخ لعنة على كل الطغاة البغاة في الدنيا والآخرة.




عـــالمـــنا
الإســلامي



الحرب البـــاردة.. وبــوادر التســخين

د.عبد العزيز التركي

تسببت حرب أوكرانيا التي تفجرت في (٢٤ فبراير ٢٠٢٢ م) ـ وكذلك حرب غزة التي انطلقت في ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣م ـ في تتابع موجة من التحذيرات في صورة تصريحات أشبه بالصرخات لمسئولين وسياسيين ومفكرين دوليين كبار، كلها تشير إلى عودة الحرب الباردة ؛ القابلة للتحول إلى حرب عالمية لا تبقي ولا تذر.

فقبل الغزو الروسي لأوكرانيا وانهماك العالم في مراقبة تصعيد موسكو وتهديداتها، قال رئيس أركان الجيش البريطاني السابق (نك كارتر): " روسيا المتهورة قد تشعل حربًا عالمية جديدة، وقال إن السياسات الحالية في العالم هي الأقل استقرارًا منذ الحرب العالمية الثانية". وفي وقت مبكر من الغزو الروسي لأوكرانيا حذر رئيس بيلاروسيا (ألكسندر لوكاشينكو) في (٢٠٢١/٧/٢١م) من دفع الغرب باتجاه حرب عالمية من خلال تكتله وراء أوكرانيا في الحرب.

أما الرئيس الأوكراني(فولوديميرزيلينسكي)فقد حذر في(٢٠٢٣/٢/٢م)من صراع عالمي نووي إذا وقفت الصين مع روسيا في الحرب ضد أوكرانيا، والعجيب أن ذلك الرئيس (اليهودي) الذي هوجمت بلاده باعتداء روسي؛ دعا قادة العالم في (٢٠٢٣/١٠/٧م) للوقوف مع إسرائيل، حتى لا ينجرف العالم بسبب غزة نحو حرب عالمية ثالثة!

وفي (٢٠٢٣/٧/١٢م) قال الأمين العام لمجلس الأمن القومي الروسي، ورئيس روسيا السابق(ديمتري ميدفيديف): "إن زيادة حلف شمال الأطلسي الدعم العسكري لأوكرنيا سيقرب قيام الحرب العالمية الثالثة"،

وكـرر تحذيراتـه فـي(١/١٠/٢٠٢٣م)؛ حيـث قـال: "إن الـدول الغربيـة تدفـع نحـو حـرب عالميـة ثالثـة مـن خـلال الانخـراط فـي الأعمـال العدائيـة فـي أوكرانيـا"، وقـال: "إذا اندلعـت تلـك الحـرب فـسيصبح كل شـيء غبـارًا". وقـال محـذرًا بريطانيـا ودولًا أوربيـة أخـرى أن روسـيا سـتعتبر الجنـود البريطانييـن الذيـن يدربـون الأوكرانييـن أهدافًـا مشـروعة.

وفـي ذات السـياق.. أثـار (فياتشيسـلاف فولوديـن) رئيـس مجلـس الدومـا الروسـي نقاشًـا فـي البرلمـان حول خطـر نشـوب حـرب نوويـة، وقـال فـي(٢٨/١/٢٠٢٤م): "إن الفاشـية أصبحـت هـي الأيديولوجيـة المتبعـة كقاعـدة فـي دول الناتـو"، واتهـم الحكومـات الغربيـة بدعـم سياسـة إبـادة جماعيـة فـي أوكرانيـا؛ قائـلًا: "هـذا مسـلك خطيـر، يمكـن أن يـؤدي إلـى حـرب عالميـة جديـدة".

وكذلـك أطلـق قائـد الجيـش الألمانـي(كارسـتن برويـر)تصريحًـا مدويًـا فـي (٢٨/ ١/ ٢٠٢٤م)؛ حيـث أعلـن أن ألمانيـا تسـتعد لنشـوب حـرب عالميـة بيـن الشـرق المتمثـل فـي روسـيا وشـركائها، وبيـن الغـرب المتمثـل فـي الناتـو وشـركائه خـلال السـنوات الخمـس القادمـة، وقـال: " إنهـا المـرة الأولـى منـذ نهايـة الحـرب البـاردة التـي تجـد ألمانيـا فيهـا نفسـها أمـام احتمـال الدخـول فـي حـرب مفروضـة مـن الخـارج" .

وقـد حـذر مـن نشـوب تلـك الحـرب الكونيـة أيضًـا عـددٌ مـن المفكريـن والمؤرخيـن ورجـال الأعمـال الكبـار فـي أوقـات متقاربـة، منهـم المـؤرخ الأمريكـي (نيـال فيرغسـون)، الـذي قـال فـي (٨/ ١١ / ٢٠٢٣م): " الحـرب البـاردة الحاليـة بيـن الشـرق والغـرب، قـد تتحـول إلـى حـرب عالميـة ثالثـة، ونبّـه إلـى أن روسـيا التـي تفتقـد إلـى الأسـلحة الخوارزميـة التـي تمتلكهـا أمريـكا؛ قـد تضطـر إلـى اسـتخدام السـلاح النـووي فـي حـرب أوكرانيـا، ورأى ذلـك المـؤرخ أن تلـك الحـرب تتجـه نحـو الاسـتمرار، ولـن تتوقـف إلا بمـوت بوتيـن"!

أمـا الرئيـس الأمريكـي السـابق والمرشـح الرئاسـي الحالـي (دونالـد ترامـب) فهـو مـن أعلـى المسـئولين صوتًـا فـي التحذيـر مـن تـورط العالـم حاليًـا فـي صـدام دولـي، فقـد صـرح فـي (١٩/ ١١/ ٢٠٢٣م) بـأن سياسـات الرئيـس بايـدن تهـدد السـلام العالمـي، وأن انتخابـه لمـرة ثانيـة سـيقود إلـى حـرب عالميـة ثالثـة، وقـال فـي (٥/ ٢/ ٢٠٢٤م) إنـه يتوقـع حربًـا عالميـة ثالثـة قبـل نهايـة هـذا العـام، بعـد تصاعـد القلـق فـي الشـرق الأوسـط.

وبالـغ الكاتـب والمحلـل السياسـي الأمريكـي (جوزيـف إبسـتاين)؛ فكتـب مقـالاً فـي مجلـة نيوزويـك الأمريكيـة فـي (١٩ /١١/ ٢٠٢٣م)، قـال فيـه: " لسـنا علـى شـفا حـرب عالميـة ثالثـة ؛ لأنهـا بـدأت بالفعـل، ولكـن واشـنطن ربمـا تكـون فـي حالـة إنـكار، فـي الوقـت الـذي تخـوض فيـه الصيـن وروسـيا وإيـران حربًـا علنيـة ضـد الولايـات المتحـدة الأمريكيـة".

وكان الملياديـر ورجـل الأعمـال الأمريكـي(إيلـون ماسـك)قد قـال فـي خـلال مؤتمـر صوتـي عبـر شـبكة التواصـل الاجتماعـي (X) التـي يملكهـا: "إن حـرب أوكرانيـا والحـرب فـي الشـرق الأوسـط يمكـن أن تثيـر صراعًـا عالميًـا، وأن واشـنطن يمكـن أن تنكسـر أمـام تحالـف دولـي معـادٍ لهـا".

الحرب الباردة الثانيةً.. وتخوفات الثالثة الساخنة:

كانـت حقًـا حربًـا عالميـة ولكنهـا بـاردة؛ تلـك التـي انقسـم العالـم خلالهـا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة إلـى قسـمين متنازعيـن؛ قسـم غربـي رأسـمالي ليبرالـي، تمثلـه الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وأوروبـا، وآخـر شـرقي يتمثـل فـي الاتحـاد السـوفيتي والصيـن ومـن دار فـي فلكهمـا مـن الحـكام والحكومـات .

ومصطلـح الحـرب البـاردة يصـف حـالات التنافـس الحـاد التـي خيمـت علـى العلاقـات الدولية خـلال المدة بيـن منتصـف الأربعينيـات حتـى أوائـل التسـعينيات الميلاديـة، بيـن الكتلتيـن الغربيـة والشـرقية، وأثنـاء هـذه الفتـرة اشـتدت المواقـف النديـة بيـن القوتيـن العظمييـن مـن خـلال التحالفـات العسـكرية والدعايات المعاديـة والسـباق التسـليحي، مـع اسـتخدام التقـدم الصناعـي والتطـور التكنولوجـي والفضائـي فـي هـذا التسـابق. وكل هـذا كان يسـتدعي مضاعفـة الإنفـاق الضخـم علـى الدفـاع والترسـانات النوويـة والحـروب غيـر المباشـرة باسـتخدام وكلاء أوعمـلاء.

وقـد كان مـن تفاعـلات تلـك الحـرب البـاردة الأولـى أن سـعت الولايـات المتحـدة إلـى محاصـرة واسـتئصال الحـركات الشـيوعية فـي العالـم؛ وحشـد قوى المتحالفيـن مـع أمريـكا فـي أوروبـا الغربيـة والعالـم الإسـلامي، وفـي المقابـل عمـل الاتحـاد السـوفيتي علـى دعـم حلفائـه فـي أوروبـا الشـرقية وأمريـكا اللاتينيـة وجنـوب شـرق آسـيا، وبعـض الـدول العربيـة والإسـلامية، وكانـت حصيلـة تلـك الحـرب البـاردة مجموعـة مـن الأزمـات والحـروب التـي كادت توصـل إلـى حـرب عالميـة ثالثـة، لكـن اللـه أطفأهـا ؛ لطفًـا منـه وفضلًـا،

غير أن استعراض ثم قياس ما حدث بالأمس، ثم قياس ما يحدث اليوم عليه؛ يفيد قطعًا في فهم الواقع واستشراف المتوقع.

لقد كان من آثار الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي خلال ما يقرب من سبعين عامًا؛ أن حدثت عدة أزمات، واشتعل عدد من الحروب، كادت تتطور إلى ملاحم عالمية كبرى، فمن ذلك أزمة حصار الاتحاد السوفيتي لمدينة برلين الألمانية، وقد بدأ هذا الحصار في يونيو١٩٤٨م، واستمر حتى ١٩٤٩م وقامت فيه روسيا بإيقاف معابر السكك الحديدية والطرق التابعة للتحالف الغربي الذي كان مسيطرًا على برلين الغربية ، وكان هذا الحصار من أولى الأزمات الدولية الكبرى الناتجة عن الحرب الباردة.

وكان من آثار الحرب الباردة أيضًا حرب الكوريتين (١٩٥٠م ـ ١٩٥٣م)؛ وقد اشتعلت عندما هاجمت كوريا الشمالية الشيوعية كوريا الجنوبية الموالية لأمريكا والغرب؛ فتدخلت الولايات المتحدة لدعم حليفتها، وتدخلت الصين بعدها لدعم كوريا الشمالية، وانتهت الحرب بتقسيم الجزيرة الكورية بعد أن نجحت كوريا الجنوبية في صد هجوم كوريا الشمالية، وتمكنت الشمالية من التصدي للهجوم الأمريكي المدعوم من الأمم المتحدة.

ومن آثار الحرب الباردة الماضية أيضًا حرب فيتنام (١٩٥٥م ـ ١٩٧٥م) والتي وقعت بين فيتنام الشمالية المدعومة من الاتحاد السوفيتي والصين، وبين فيتنام الجنوبية الموالية لأمريكا وحليفتها كوريا الجنوبية، إضافة إلى أستراليا وتايلاند وحلفاء آخرين مناهضين للشيوعية. وقد انتهت تلك الحرب بانتصار فيتنام الشمالية الشيوعية على فيتنام الجنوبية الرأسمالية ؛ وتولى الشيوعيون السلطة هناك بعد انسحاب الجيش الأمريكي مهزومًا.

وكان من آثار الحرب الباردة الأولى أيضًا نشوب الحرب السوفيتية الأفغانية (١٩٧٩م ـ ١٩٨٩م) حيث أقدم الروس على التدخل العسكري في أفغانستان لدعم الحكومة الأفغانية العميلة للشيوعيين، وهو ما فجّر تحركًا مقاومًا إسلاميًا، تطور إلى حرب مريرة طويلة ؛ انتهت بهزيمة الروس وعملائهم، وانسحاب القوات الروسية بعد عشر سنين من تلك الحرب التي قامت أمريكا خلالها بدعم المجاهدين بالصواريخ المضادة للطائرات نكاية في الروس، وكانت أمريكا تدفع خلال تلك الحرب بحشد العالم



الإسلامي بحكوماته وشعوبه للوقوف مع الأفغان ضد الروس؛ وهو ما انتهى بهزيمة الاتحاد السوفيتي ؛ الذي كان الجهاد الأفغاني أحد عوامل سقوطه ؛ الذي تبعه سقوط المعسكر الشرقي برمته، وأعقب ذلك تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقطب وحيد مهيمن على النظام الدولي.

ولضمان استمرار هذا التفرد دعت الولايات المتحدة إلى(العولمة)الهادفة إلى تقريب العالم شرقًا وغربًا من بعضه، ولكن تلك العولمة لم تكن إلا محاولة للأمركة؛ حيث عمدت أمريكا إلى توظيف الأوضاع العالمية كلها لحساب إمبراطورية أمريكية تحكم العالم لقرن كامل، وهو ما كان يهدف إليه (مشروع القرن الأمريكي) الذي أعلن عنه جورج بوش الابن، والذي جرى تعطيله وعرقلته على أرض العراق.

عودة شرقية من الأبواب الخلفية:

رياح الأوضاع العالمية لم تجرِ بما تشتهي السفن الأمريكية؛ فبعد عقدين من تفرد الاتحاد الأمريكي تمكن الاتحاد الروسي ـ وريث الاتحاد السوفيتي ـ من العودة إلى واجهة الصراعات الدولية، وبرزت ممارساته في التدخلات ذات الطابع الدولي من خلال اعتلاء ظهر أدعياء "ثورة المستضعفين" في إيران؛ للتدخل العسكري في سوريا لقمع ثورة التحرر فيها، وكرر الكّرة بالتدخل العسكري في أوكرانيا مهددًا أوروبا الشرقية.

كما أن الصين بدورها تخطت قواعد لعبة التفرد الأمريكية من البوابة الاقتصادية والتقنية؛ ودخلت في سباق محموم مع أمريكا وكادت تسبقها في أكثر من مضمار للمنافسة فيه، وهو ما أصبح

يمثـل تهديـدًا حقيقيًـا للرأسـمالية الأمريكيـة، كمـا أن الصيـن صـارت تلـوّح بيـن آن وآخـر بحقهـا فـي اسـترجاع جزيـرة تايـوان؛ التـي تعدهـا أرضًـا صينيـة محتلـة.

أمـا كوريـا الشـمالية فقـد درجـت علـى اسـتعراض العضـلات المسـلحة بأسـلحة الدمـار الشـامل بيـن آن وآخـر؛ وكل ذلـك شـجع إيـران علـى التسلسـل الحثيـث بسـعي خبيـث نحـو اقتنـاء السـلاح النـووي، ولـم يكـن وراء نواياهـا النوويـة إلا ابتـزاز وإرهـاب بـلاد أهـل السـنة ؛بغـرض إخضاعهـا لمشـروعات الخرافـات الشـيعية.

هـذه التغيـرات أظهـرت فـي الأفـق الدولـي علامـات الانقسـام الحـاد مـرة أخـرى بيـن طرفـي العالـم، فقـد بـدأ مـن تلـك القـوى الشـرقية مـا بـدا تشـكيلًا لتحالـف متجـدد؛ أوشـك أن يتحـول إلـى معسـكر شـرقي ناهـض ومتعـدد، فـي مواجهـة معسـكر غربـي مرتبـك متـردد؛ وهـو مـا أعـاد أجـواء الحـرب البـاردة مـن جديـد.

وقـد تتابعـت فـي السـنوات الأخيـرة أحـداث



عالميـة؛ كادت تحـوّل أجـواء الحـرب البـاردة الجديـدة، إلـى لفحـات ذات سـخونة شـديدة؛ وذلـك عندمـا ظهـرت بالفعـل جبهـة مواجهـات عسـكرية حقيقـة بيـن الـروس وحلفائهـم وبيـن الأمريكييـن وتابعيهـم علـى أرض أوكرانيـا التـي كانـت قبـل نحـو ثلاثـة عقـود فقـط مـن أهـم جمهوريـات الاتحـاد السـوفيتي السـابق، حيـث اسـتقلت عنـه فـي أغسـطس ١٩٩١م .

وجـاءت معركـة طوفـان الأقصـى لتمثـل انعطافـة جديـدة شـديدة فـي مسـار العلاقـات الدوليـة المتوتـرة أصـلًا بيـن الشـرق والغـرب؛ ذلـك أن الـدول الغربيـة وعلـى رأسـها الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تتهـم إيـران بأنهـا ـ وليـس غيرهـا ـ المسـئولة الأولـى عـن عمليـة السـابع مـن أكتوبـر، التـي اسـتهدفت مـا أجمـع الغـرب علـى التكفـل بـه دائمًـا؛ وهـو (ضمـان أمـن إسـرائيل) حيـث مثَّـل (طوفـان الأقصـى) ـ الـذي قامـت بـه منظمـة حمـاس ـ ضربـة فـي صميـم نظريـة الأمـن الإسـرائيلي، ومعلـوم أن الحـرب الطويلـة التـي أعقبـت عمليـة الطوفـان أحدثـت زلـزالًا محليًـا وإقليميًـا وعالميًـا ؛ كاد يدخـل الجميـع فـي حـرب عالميـة ثالثـة، كمـا ظهـر ذلـك مـن التصريحـات المذكـورة آنفًـا علـى ألسـنة كثيـر مـن كبـار المسـئولين والساسـة والخبـراء العالمييـن، إلا أن أمريـكا أصـرت علـى عـدم توسـيع الحـرب؛ تجنبًـا لإي سـيناريو غيـر مرسـوم سـلفًا.

وعندمـا تُتَّهـم إيـران بالتسـبب فـي هـذا الاضطـراب الدولـي ـ بحسـب اتهامـات الغـرب ـ فـإن مـا بيـن إيـران وروسـيا والصيـن وكوريـا الشـمالية مـن علاقـات قويـة تشـبه التحالـف.. سـيجعل كل تهديـد لإيـران وعيـدًا فـي الأمـر ذاتـه لحلفائهـا..!

وهـل تحتـاج عـودة الحـرب البـاردة عالميًـا إلـى غيـر ذلـك ؟!

إيـران بنظـر الجميـع اخترقـت "الخطـوط الحمـراء" التـي وضِعَـت لهـا منـذ تمريـر ثورتهـا، رغـم إعلانهـا أنهـا (ثـورة) و(إسـلامية) و(ضـد أمريـكا وإسـرائيل) و(للتصديـر)؛ وهـو مـا كان يكفـي لإعـلان حـرب عالميـة ضدهـا لـو كانـت تلـك الثـورة (سـنية).. كمـا حـدث فـي كثيـر مـن البـلاد العربيـة والإسـلامية.

كان مـن الواضـح أنـه لأجـل حسـابات غربيـة اسـتهدفت إضعـاف بـل إذلال كل الكيانـات السـنية جـرى إعطـاء الأضـواء الخضـراء لتلـك الثـورة، لكـن مـع خطـوط حمـراء ؛ تكفـي لتأميـن المصالـح الغربيـة و(أمـن) الدولـة اليهوديـة... غيـر أن إيـران ـ كمـا تظهـر أحـداث الأعـوام الأخيـرة ـ عملـت علـى اختـراق مـا وضِـع لهـا مـن خطـوط حظـر حُمـر ؛ بعدمـا اسـتقوت بضعـف وهـوان مـن حولهـا.

وتمثـل هـذا الاختـراق الإيرانـي فـي عـدة أمـور.. يأتـي علـى رأسـها مضـي إيـران فـي مسـارات التحالـف مـع روسـيا والصيـن وكوريـا الشـمالية، وتطلعهـا للهيمنـة علـى أغنـى وأخطـر مناطـق العالـم وأكثرهـا أهميـة للغـرب، وهـي منطقـة الخليـج، وكذلـك تسـهيلها إيجـاد مواطـئ أقـدام للكيانـات المعاديـة للغـرب فـي منطقـة الشـرق الأوسـط؛ وذلـك مـا حـدث تحديـدًا عنـد تمكيـن الـروس فـي سـوريا والتمهيـد للوجـود الصينـي والروسـي فـي بلـدان عربيـة أخـرى لهـا علاقـات خاصـة مـع طهـران.

ومـن ناحيـة أخـرى فـإن هـذا الاختـراق الإيرانـي للخطـوط الحمـر الغربيـة؛ جعـل كلًا مـن روسـيا والصيـن

أيضًا غير بعيدتين عن مجمل تداعيات ما يحدث في فلسطين، وإن بدا الأمر غير ذلك؛ فكلا القوتين العالميتين الصاعدتين ـ إضافة إلى كوريا الشمالية ـ صارت تمثل بنظر الغرب تجسيدًا جديدًا لما يسمونه (محور الشر)؛ حيث تشترك كلها في التهاب بؤر التوتر في أخطر مناطق العالم، وهي: أوكرانيا، وتايوان، وفلسطين.. حاليًا، ومنطقة الخليج والقرن الإفريقي.. تاليًا، والله أعلم بما يتبعها.

حلف الناتو .. والعودة للحرب الباردة

فيما يبدو أنه رد فعل على استعادة القوى الشرقية لأجواء الحرب الباردة.. تتجه القوى الغربية لذات المسار بكل ما أوتيت من قوة واقتدار؛ ففي شهر يناير ٢٠٢٤م أعلنت قيادة حلف شمال الأطلسي (الناتو) أن الحلف سيبدأ أكبر عمليات تدريب عسكري له منذ نهاية الحرب الباردة؛ حيث سيشارك نحو ٩٠ ألف جندي في مناورة تدريبية تهدف لتعزيز أمريكا لقوات حلفائها الأوربيين في دول محاذية لحدود روسيا وعلى الجناح الشرقي للحلف، وهو ما يظهر تحسب الولايات المتحدة وأوروبا واستعدادهما لاحتمالات تصاعد الصراع بين دول محاذية للطرفين المتورطين في حرب أوكرانيا ، وأُطلق على تلك التدريبات أو المناورات اسم (المدافع الصامد).

وقد علقت الخارجية الروسية على إعلان هذه المناورات بقولها: (هذه التصريحات عن التدريبات تمثل «عودة لا رجعة فيها» من الحلف لمخططات الحرب الباردة). وأضافت: (هذه التدريبات التي ستستمر عام ٢٠٢٤م تدخل ضمن الحرب الهجين الملفقة التي يشنها الغرب على روسيا) .

وكان زعماء الغرب قد وصفوا هجوم روسيا على أوكرانيا بأنه "سعي استعماري روسي لضم الأراضي الأوكرانية دون مبرر " ؛ وكان الرد الروسي هو اتهام الغرب بشن حرب جماعية على روسيا من خلال دعم أوكرانيا عسكريًا واقتصاديًا .

ليس في أوكرانيا وفلسطين فقط مواضع التأزم الدولي الشديد، بل هناك مناطق أخرى يتوقع تسخينها إلى حد الاشتعال المشغل والمربك للساحات الدولية؛ ويأتي على رأس ذلك النزاع المزمن حول جزيرة تايوان بين أمريكا والصين؛ حيث تعد بكين الجزيرة جزءًا لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية، بينما تعتبرها أمريكا أرضًا محررة لشعب راغب في الديمقراطية والتفرد بتقرير المصير بضمان غربي أمريكي.

إن هذا التسخين المتفاقم للأجواء الدولية صار يشبه إلى حدٍ كبير ذلك الذي سبق الحرب العالمية الثانية؛ فقد اشتعلت جراء أوضاع شديدة القابلية للتفجر بين اليابان والصين بعد احتلال اليابان لأجزاء من الصين، وفي ذات الأثناء كانت إيطاليا تدفع باتجاه الهيمنة على إفريقيا وسواحل البحر المتوسط، وكذلك كانت لليابان أطماع مشابهة؛ لذلك كان العامل المشترك بين المناطق الثلاث هو الرغبة في السيطرة على مناطق استراتيجية بالغة الأهمية لمن تقع بين يديه، وبالغة الخطر تجاه من تخرج من بين يديه.

ولكن أين المسلمون..؟!

بالرغم من التحذيرات التي تأخذ أحيانًا شكل التهديدات باشتعال حرب عالمية؛ فإن أمريكا من جهتها غير راغبة أو غير قادرة على الدخول في حروب مباشرة مع قوى عالمية كبرى؛ خاصة بعد أن اهتزت هيبتها وتمرغت أنوف جنودها في أعماق العراق وشواهق أفغانستان، ولكنها تمارس وستظل تمارس بكل صلف وغرور حروب الوكالة حتى آخر جندي من جنود وكلائها، باستثناء جنود إبليس في تل أبيب بطبيعة الحال .

والحاصل أن الولايات المتحدة مضطرة للدفاع المستميت عن موقع التفرد بقيادة العالم والسيطرة على قراراته ومقدراته بكل سبيل مستطاع ، وعلى النقيض سيستميت أعداؤها في إقصائها عنه؛ ولذ فإن صراعها ضدهم سيستدعي في المدى المنظور تشكيل تحالف عالمي عسكري أشمل من الناتو وأبعد من الأطلسي، وهنا يأتي العالم الإسلامي بحكوماته وإمكاناته وثرواته البشرية والمادية في طليعة ما تتطلع أمريكا لتسخيره في مشروع البقاء على القمة ، كما سبق واستخدمت هذا العالم الإسلامي في صراعها مع المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي حتى سقط من القمة .

أما واجب المسلمين من خاصة وعامة تجاه هذه الملمة المدلهمة فهو موضوع آخر ؛ نتناوله ـ بإذن الله ـ في لقاء آخر.

***



تحديات مصيرية في القضية الفلسطينية

الشيخ مضر أبو الهيجاء

إن الثوار والمصلحين والدعاة والسياسيين ـ في الأرض المباركة وما حولها ـ أمام اختبارات كثيرة في المرحلة القادمة، ولكن أهم تحدياتها الثلاثة الأُوَل ستكون :

● **التحدي الأول:** تشكيل مشروع وطني مستقل سياسيًا ، جامعًا يستوعب تجربة الماضي وأخطاءه ، ويبني على التضحيات الأخيرة ودماء شهدائها ؛ محققًا آمال إحيائها ولو بشكل مرحلي ، تطيقه الظروف الموضوعية .

● **التحدي الثاني:** الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية التي تشكّل هوية المنطقة وعموم شعوبها منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحتى تشكيل الدول الوطنية الحديثة، واسترداد وإصلاح العطب الذي أصاب الهوية فأحدث فيها لوثات تتناقض مع الإسلام العظيم نتيجة النظريات القومية واليسارية .

● **التحدي الثالث:** النجاح في استيعاب الطوائف غير الإسلامية ، رغم أوجاع المرحلة السابقة والحالية وانتكاسات الطوائف خلالها. بحيث ينجح المكوّن الإسلامي القادم في أعرق بلاد وأقاليم المسلمين - أرض الشآم - بخلق فجوة بينها وبين الغرب ، الذي لطالما اخترق المنطقة وعبث في أوضاعها من خلال تلك الطوائف عبر قياداتها الرخيصة غير المنتمية واللاوطنية، ولعل هذا التحدي الصعب يُبرز القامات الإسلامية المفقودة اليوم نتيجة الاحتراب الطائفي الذي يرعاه الغرب باحتراف كبير، ولعل خير قدوة في هذا السياق هي شخصية الأمير/ عبد القادر الجزائري الذي أنقذ إقليم الشام وطوائفه من مهالك الذبح والتهجير التي اندلعت بدمشق عام ١٨٦٠م، بعد أن انقدحت شرارتها في لبنان بين النصارى والدروز.

ومن نافلة القول أن حجم التدمير الذي أحدثته نظم الحكم التي مكنها الغرب من حكم البلاد والعباد في الدول الوطنية الحديثة التي أنشئت برسمه وأمره، يطرح بين يدي المصلحين والدعاة والسياسيين تحديات كثيرة وعظيمة حتى لا يكاد يخلو منها منحى من مناحي الحياة، وهنا تكمن رسالة أتباع النبيين والمرسلين في إصلاح أحوال العباد ورعايتهم في المعاش والمعاد .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن خير من يستفاد من مواقفه في الحقبة الأخيرة ـ وفي أوضاع شبيهة إلى درجة التطابق مع إقليم الشام ـ هو الشيخ حارث الضاري رحمه الله، والذي حلت عليه وعلى كل المصلحين مصائب في أرض العراق تفوق كل المصائب التي حدثت في القرنين الأخيرين في مصر وعموم الشام، ومع ذلك فقد كان خطاب الشيخ الضاري متزنًا ومتوازنًا وأصيلاً ؛ في حفاظه على الهوية الإسلامية وعلى الإرادة السياسية المستقلة وعلى استيعاب الطوائف والأحزاب المذهبية ، دونما ممالأة عقائدية تمس ثوابت الدين؛ مستوعبًا حتى الشيعة العراقيين رغم بطش إيران وميليشياتها ، والتي قاتلها وشرّع قتالها ؛ معتبرًا إياها كما الإدارة الأمريكية عدوًا لئيمًا .

إن حجم التضحيات في حقبة الربيع العربي وما قبلها لم تصل إلى قطف الثمرات المرجوة ، ولكنها أسهمت فعلاً بتدمير وتفكيك وإضعاف مشاريع الباطل وأجهزته ومكوناته ونظرياته ؛ الأمر الذي يُبنى عليه الكثير عند من يعون تلك الحقائق وينتمون حقًا لأصحابها ويعملون بصدق متجردين لعز الأمة وتمكين الدين وإن وعد الله حق والله لا يخلف الميعاد ، كما قال سبحانه وتعالى:﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور- ٥٥].

***



مَنْ الذين يُغرقون باكستان؟

كرجل من قلب المؤسسة العسكرية الباكستانية، تولى الرئاسة، لكنه خرج عن الخط الأمريكي للحظيرة!

المرسوم للجيش الباكستاني؛ فتم تفجير طائرته، وعاد الجيش مجددا كمدني، لم تتطلب الإطاحة بعمران خان، ما احتاجته إزاحة الجنرال ضياء الحق. مجرد حكم من محكمة عليا، وتحريك بيادق داخل البرلمان، وتجميد لحزب الإنصاف، وملاحقة قضائية، ثم تزوير للانتخابات على نطاق واسع يحرم أعضاءه من تشكيل الحكومة الباكستانية عبر تحالف.

بدت باكستان في السباق الانتخابي الأخير، كواحدة من جمهوريات الموز؛ إذ تم حياكة الأحكام القضائية، والإجراءات الانتخابية، والممارسة السياسية على مقاس الحزبين التقليديين، لاستبعاد خان وحزبه من تشكيل الحكومة الباكستانية.

لم يكن ضياء الحق "قديساً" أو ملاكاً؛ حتى حين كان يدعم "المجاهدين" في أفغانستان في حربهم ضد الغزو السوفييتي متحالفا مع الأمريكيين. وكانت لديه، أخطاؤه التاريخية في السياستين الداخلية والخارجية غير أنه في النهاية لم يسر على هوى الأمريكيين؛ فقتلوه. وأما عمران فقد تخبط يمينا ويسارا قبل وأثناء وبعد حكمه كرئيس للوزراء، لكنه أراد أن ينفذ مشروعا مستقلا عن الأمريكيين؛ فلم تتطلب إطاحته سوى ورقة صغيرة أرسلتها السفارة الأمريكية في إسلام أباد للعسكر.

حالت الدولة العميقة دون استقلال باكستان عن الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تزل نافذة جدا في الجيش والاستخبارات الباكستانية، وقزمت هذا البلد النووي القوي، وحشرته في زاوية ضيقة أمام عدوته اللدود، الهند، ولم تزل تضعفه أكثر عندما أسلمت البلاد – أو كادت - لحكومة ائتلافية هشة من حزبي الرابطة الإسلامية جناح نواز شريف، والشعب الباكستاني بقيادة الرئيس الباكستاني الأسبق أصف علي زرداري. مثلما أسلمتها من قبل بعد إقالة واعتقال عمران خان في العام ٢٠٢٢.

أجريـت الانتخابـات في الثامـن مـن هـذا الشـهر، وسـط تعنـت رهيـب مـن الجيـش الباكسـتاني، الحاكـم الفعـلي للبـلاد، ضـد عمـران وحزبـه، حيـث لم تخـلُ أي مـن مراحلهـا مـن تجـاوزات واضحـة؛ فرئيـس حـزب الإنصـاف الـذي وجهـت لـه أكثر مـن ١٨٠ تهمـة تـتراوح بـين أعـمال الشـغب والإرهـاب وقضايـا أسريـة وفسـاد! وتـم سـجنه في زنزانـة متسـخة مسـاحتها ٣ × ٤ مـترا، اسـتبقت الانتخابـات بإدانـة متسرعـة لـه في ٥ أغسـطس بتهمـة بيـع هدايـا الدولـة. والجيـش عـبر ذراعـه الأمنـي والقضـائي قـد لاحـق معظـم قـادة حـزب الإنصـاف بذرائـع ومزاعـم مختلفـة فاعتقـل الآلاف، وأجـبر عـشرات القـادة والكـوادر عـلى الاسـتقالة قبـل عامـين، ثم حالـت الدولـة العميقـة، بذراعها القضـائي أيضـا دون انتخـاب خلـف لعمـران في قيـادة حـزب الإنصـاف، فلـم تعـترف بالانتخابـات الداخليـة للحـزب، مـا أفسـح الطريـق أمـام مفوضيـة الانتخابـات المسيسـة أن تمنـع الحـزب مـن خـوض الانتخابـات البرلمانيـة بدعـوى أن رئيسـه عمـران قيـد السـجن. ليتركـوا مقعـد رئاسـة الحـزب شـاغرة ! وكانـت الطامـة الأخـيرة في الانتخابـات ذاتهـا، حـين خـاض مرشـحو الإنصـاف الانتخابـات كمسـتقلين، ف زورت الانتخابـات ضدهـم في عـدد مـن دوائرهـم، لصالـح مرشـحي الرابطـة والشـعب المسـتقلين، لاسـيما في إقليـم السـند.



مشاهد مريرة:

في الانتخابات كانت المشـاهد مريرة، واشـية باسـتخفاف العسـكر بـالإرادة الشـعبية؛ فصـورة مشـينة لحظـر اسـم عمـران خـان مـن وسـائل الإعـلام الرئيسـية، وثانيـة في إعـادة رسـم خطـوط حـدود الدوائـر الانتخابيـة لصالـح خصومـه، وثالثـة شـوهدت قبـل الانتخابـات حيـث كان كثـيراً مـا يجـد مرشـحو الانصـاف أوراق ترشـيحهم وقـد انتزعـت مـن أيديهـم عـلى يـد أفـراد أمـن غامضـين. ولتجنـب ذلـك، لجـأت حركـة الإنصـاف إلى إرسـال العديـد من المرشـحين مع أوراق الترشـيح عـلى أمـل أن يتمكـن أحدهـم مـن اخـتراق الطـوق الأمنـي!

ورابعـة حـين صـار شـعار كـرة الكريكيـت التـي يتخـذه عمـران شـعاراً لحزبـه أيضـا، محظـوراً هـو الآخـر، للحـؤول دون تعـرف كثـير مـن الناخبـين عـلى مرشـحهم أثنـاء الاقـتراع في بلـد يمثـل الأميـون ٤٠ ٪ مـن ناخبيـه. وخامسـة بعـد الانتخابـات، حـين انضـم عـدد مـن "مسـتقلي" حـزب الإنصـاف إلى أحـزاب أخـرى، كالرابطـة والشـعب، بعـد ظهـور مـؤشرات نجاحهـم، فأعلنـت لجنـة الانتخابـات نجاحهـم، لكنهـم سرعـان مـا خدعـوا اللجنـة، وغـادروا تلـك الأحـزاب! وسـادسـة حـين قطعـت السـلطات الاتصـالات وخدمـة الانترنـت طـوال يـوم الاقـتراع في مناطـق شاسـعة في باكسـتان، وتذرعـت السـلطات ببطئهـا لتبريـر تأخـير نتيجـة الانتخابـات لأكـثر مـن ٦٠ سـاعة كاملـة، مـا سـمح بتزويـر واسـع النطـاق في أقاليـم متعـددة لاسـيما السـند! وسـابعة أشـد مـرارة وسـوريالية، حـين قـال مسـؤول باكسـتاني إنـه تلاعـب في فـرز الأصـوات وأن لجنـة الانتخابـات الباكسـتانية متورطـة أيضًـا، واعتـذر مسـؤول الانتخابـات السـابق في روالبنـدي، للجنـة الانتخابـات، وقـال: "لقـد قدمـت ادعـاءات كاذبـة، أنـا آسـف"، لكـن المفوضيـة رفضـت مـا قالـه!

النتيجة:

في أعقـاب إعـلان النتائـج التـي لم تقبلهـا عـدة قـوى، نظـم حـزب الإنصـاف والجماعـة الإسـلامية والحركـة القوميـة المتحـدة، احتجاجـات في جميـع أنحـاء باكسـتان خـلال عطلـة نهايـة الأسـبوع، لاسـيما في إقليـم السـند الـذي شـهد أكـبر عمليـات التزويـر تسـببت في تغـير كبـير في نتائـج الانتخابـات.

وقـد ظهـرت النتائـج التـي ظهـرت عـلى النحـو التـالي: فـوز المسـتقلين ب ١٠١ مـن أصـل ٢٦٤ مقعـدا، وأغلبهـم مدعومـون مـن حـزب ا لإنصـاف. وجـاء في المركـز الثـاني حـزب الرابطـة الإسـلامية-جناح نـواز") رئيـس الـوزراء السـابق نـواز شريـف(الـذي حصـد ٧٥ مقعـدا ليصبـح الحـزب الـذي حصـل عـلى أكـبر عـدد مـن مقاعـد البرلمان.وحـل حـزب الشـعب في المرتبـة الثالثـة بفـوزه ب ٥٤ مقعـدا، وحصلـت الحركـة القوميـة المتحـدة عـلى ١٧ مقعـدا، بينـما فـازت بقيـة القـوى السياسـية الأخـرى بـــ ١٧ مقعـدا.

لكـن بحسـب الإنصـاف كانـت النتيجـة مغايـرة

تماماً؛ فقد فاز "مستقلو" الحزب بنحو ٢٠٢ مقعداً وفي أقل التقديرات، ب ١٧٣ مقعداً ، إذ حصل الكثير من المستقلين على مستند ٤٥ الذي يثبت فوزهم على منافسيهم إلا أنه لم يتم الإعلان عن نتائجهم، ثم تم تغيير نتائج كثير منهم لاحقاً! وهذه الأغلبية التي حصل عليها منسوبو الإنصاف، هي في الحقيقة أغلبية مطلقة، يدرك ذلك الجميع في إسلام آباد، والعواصم الغربية أيضاً التي تابعت الانتخابات عن كثب، لكن القرار الخارجي كان هو تشكيل ائتلاف حاكم هش يمكن أن تسوقه المؤسسة العسكرية بسهولة.

دستورياً، يحق للإنصاف - لو أعلنت النتائج الحقيقية تشكيل الحكومة بمفرده، شريطة انضواء مستقلوه تحت مظلة حزب آخر، وقد وازن حزب الإنصاف في خياره ما بين الحزبين الهامشيين، مجلس الاتحاد السني، ووحدة المسلمين (الأول يتردد أنه ينتمي إلى الطائفة البريلوية الصوفية، والثاني شيعي جعفري)؛ فاختار الأول، وإليه انضم ٢٩٢ عضواً مستقلاً ، منهم ٨٦ أعضاء في الجمعية الوطنية (البرلمان)، في البرلمانات المحلية، البنجاب ١٠٧ ، وخيبر ٩٠ ، والسند ٩، وتقدم الاتحاد السني الانتخابات لتحديد حصته المحددة للنساء ومقاعد الأقليات في الجمعية الوطنية (البرلمان)والمحلية.

على أن ما تسير إليه الأمور حتى الآن، هو ما نجم عنه اتفاق رئيسي الحزبين الفائزين رسمياً، الرابطة والشعب، شهباز شريف وبيلاوال بوتو (نجل بنظير بوتو) والرئيس السابق آصف علي زرداري (زوج بوتو)، من تقاسم السلطة، عن طريق تشكيل حزب الرابطة للحكومة، وتولي آصف رئاسة الجمهورية، ومسؤول من الشعب رئاسة مجلس الشيوخ، وهو اتفاق يدفع إليه الجيش، وترضى عنه الولايات المتحدة، التي تعتبر أن نواز شريف رئيس الحكومة السابق هو الأقرب إليها، حيث يُنظر إلى شريف على أنه صديق للأعمال التجارية ومؤيد لأميركا، علاوة على أن وجود "الشعب" في الحكم والمعارضة معاً ،يحقق ما تصبو إليه واشنطن، فطالما رغبت الولايات المتحدة في ارتفاع حظوظ حزب الشعب الباطني (يقوده إسماعيليون، أبرزهم عائلة بوتو التي دمرت باكستان خلال سني حكمها). يقول مايكل كوجلمان، مدير معهد جنوب آسيا في مركز ويلسون في واشنطن العاصمة: "من وجهة نظر واشنطن، أي شخص سيكون أفضل من خان".
رغم أن كل الرياح كانت معاكسة لعمران خان، إلا أنه قد حقق نصراً معنوياً هائلاً وأبدى شجاعة نادرة لم يألفها الشعب الباكستاني في قادة الأحزاب التقليدية الأخرى، الذين اعتادوا على القفز في السفينة أينما استشعروا الخطر؛ فهربوا إلى بريطانيا أو السعودية. ولعل انتصار عمران وحزبه، رغم كل أخطائهما الفادحة في السياسة والاقتصادية يوحي بأن الشعب الباكستاني راغب في الفكاك من الأسر الأمريكي، وأنه ماضٍ في ذلك متى وجد الفرصة مناسبة.

في المقابل، تبدو سفينة باكستان آيلة إلى الغرق في مزيد من مشاكلها، في ظل حكومة هشة مقيدة، فاسدة، ورئيس اشتهر بالفساد والرش ى وتبييض الأموال، وحُكم عليه من قبل في باكستان وسويسرا، وتغلغل طائفي خبيث، واقتصاد واهٍ جعل باكستان المسلحة نوويا غارقة في ديون خارجيةٍ تبلغ ١٤٠ مليار دولار، في حين يعاني الشعب من أعلى معدلات التضخم في آسيا، مع ارتفاع أسعار المواد الغذائية بنسبة ٣٨,٥٪ على أساس سنوي.

فشلت حكومة الائتلاف، وستفشل ثم تسقط، غالباً ولهذا عمد حزب الشعب إلى عدم المشاركة فيها، وإن تحالف مع الرابطة، وربما سيعاني الباكستانيون أكثر، مع نظام يحقق أهداف أعدائه البعيدين، ويتغافل عن عدوته اللدود القوية، التي تزداد قوة وتوحشاً يوماً بعد يوم .. تغرق باكستان، وتنهض الهند..

الأولى في ظل حكم عسكري علماني عنيد، يجافي كل تطلعات شعبه، ويمهد الطريق للهزيمة القادمة أ مام أعدائه، في كشمير، وربما في أقاليم أخرى، والثاني في ظل حكم هندوس ي طائفي وقومي حقيقي، يعمل لصالح مشروعه ويخلص له، ويقبل على انتخابات قادمة، وهو يملك أدوات القوتين الداخلية والخارجية، برغم كل تخاريفه "الدينية" وطقوسه الخرقاء.. لله الأمر من قبل ومن بعد.

***



مائة عام على رحيل الخلافة

عبد الوهـــاب محمـــود

لم يبدأ التردي في العالم الإسلامي منذ "إلغاء" الخلافة العثمانية في ٣ مارس ١٩٢٤ م، لكن هذا التاريخ كان منعطفاً شديد الأثر على العالم الإسلامي، ولم يزل يعاني منه حتى الآن.

سقطت السلطنة العثمانية عملياً قبل ذلك بكثير، إذ تناوشتها الخلافات الداخلية، وتغلغل العلمانية قبل السقوط بنحو قرن، والميل للتغريب، وسوء إدارة الشعوب، والتراجع الديني، وتقديم العقل على النقل، وتنفذ الباطنية، وتسلل الماسونية، وتراجع العدالة، وشيوع الإرجاء وفشو المعاص ي والآثام.. إلى غير ذلك.

وقد سقطت حقيقة يوم أن خلع السلطان عبد الحميد الثاني، آخر لسلاطين العثمانيين الذين حكموا الخلافة فعليًا حتى العام ١٩٠٩ قبل خلعه، وقد استلم دولة شاسعة مهلهلة، قد نخرت في عظامها الصهيونية التى تسربلت برداء "يهود الدونمة"، وهم مجموعة من "المتأسلمين"، أي الذين ادعوا الإسلام وهم يهود . وقد كان مشهد الخلع مؤلماً، حيث تقدم قاراصوه اليهودي ضمن وفد مجلس المبعوثان إلى جوار أرمني متعصب، وخونة آخرين، ليسلم ورقة إلى السلطان عبد الحميد رحمه الله بعد أن قاد الاتحاديون الانقلاب وحاصروا القصر، وألحقوا الهزيمة بالشيوخ وأنصارهم من العسكريين، وارتكبوا مجزرة بشعة..

لقد تم عزلك بموجب فتوى! وقد كانت الفتوى لمن سُمي زوراً بشيخ الإسلام، الماسوني الباطني موسى كاظم أفندي، الذي وقف يتلو فتوى تدعي وجوب العزل لأن السلطان ابتعد عن الإسلام، فجاءوا ليقصوه تماماً! حكم الاتحاد والترقي، ورجاله الباشوات العسكريين أنور وطلعت وجمال، فعينوا سلاطين كفزاعات حقل بعده، وبدأ الانهيار سريعاً جداً، سقطت أملاك الدولة في حرب خاضوها بخيانة وجهل، وفي غير الحرب، إلى أن جاء أتاتورك فانقلب مجدداً ليزيل ما تبقى من بقايا "الخلافة"، ففي العام ١٩٢٣م أقام الجمهورية وترأسها، مع وجود خليفة منزوع الصلاحية، أبقاه مؤقتاً مناوراً بهذه الكلمات: "سيصبح شعب تركيا أكثر قوة، إذ ستكون دولة حديثة ومتحضرة، ليحقق إنسانيته وهويته من دون التعرض لخطر الخيانة الفردية. ومن ناحية أخرى ستسمو مؤسسة الخلافة باعتبارها همزة الوصل المركزية لروح العالم الإسلامي وضميره". ثم في العام التالي أوعز إلى برلمانه بإلغائه؛ فكان ما أراد حين وافق البرلمان التركي الموالي للغرب، تطبيقاً لاتفاقية لوزان، على إلغاء الخلافة في الثالث من مارس ١٩٢٤ وافق البرلمان التركي على إلغاء الخلافة الإسلامية ليضع نهاية للخلافة العثمانية، بحجة أن "الدين الإسلامي سيسمو بالتوقف عن استخدامه كأداة سياسية"، طبقاً لخطاب أتاتورك أمام البرلمان قبل ذلك بيومين!

ورغم أن إلغاء الخلافة كان تحصيل حاصل، إلا أنه وقع على قلوب المسلمين وقع الصدمة، فبكاها الشاعر أحمد شوقي، **بأبياته:**

ضجّت عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكتْ عليكِ ممالكٌ ونواحِ
الهندُ والهة، ومصرُ حزينة ... تبكي عليكِ بمدمعٍ سحاحِ
والشامُ تسألُ والعراقُ وفارسٌ ... أمحا من الأرضِ الخلافةَ ماحِ؟
إنّ الذين أستْ جراحكِ حربهم ... قتلتكِ سلمُهُمُ بغيرِ جراحِ
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم ... موشيةً بمواهبِ الفتّاحِ
نزعوا عن الأعناقِ خيرَ قلادةٍ ... ونضوا عن الأعطافِ خيرَ وشاحِ

وانتقد تشجيع الغرب لأتاتورك، في تطبيق العلمانية وحربه على الدين، واستبداده برأيه **بقوله:**

هم أطلقوا يدهُ كقيصرَ فيهمُ ... حتّى تناولَ كلّ غير مباحِ!
غرتهُ طاعاتُ الجُموعِ ودولة ... وجدَ السوادُ لها هوى المرتاحِ
بالأمسِ أوهى المسلمينَ جراحَة ... وَاليومَ مَدَّ لهمْ يَدَ الجَرّاحِ!

ولم يكن الأثر عاطفياً فحسب، فلقد ضاع المسلمين من بعدها على نحو لم يحصل أبداً في التاريخ منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، برغم كل مساوئ تلك "الخلافة" وابتعادها عن جادة الشريعة كثيراً، وروح هذا الدين.

لقد تتابعت المصائب منذ عزل السلطان عبد الحميد: اجتاح البلشفيون آسيا الوسطى والقوقاز، وضاعت البلقان، وانهارت المقاومة في العراق والشام، وبدأت إرهاصات قيام "إسرائيل"، وانهارت ممالك إسلامية كثيرة في آسيا وإفريقيا، مما لا يتسع المقام لذكر آثارها جميعاً في تلك السطور.

والحق، أنه بتتبع ما قد نجم عن سقوط "الخلافة" من آثار في العالم برمته، يتبين أن هذا الحدث الجلل الذي لم يحصل في تاريخ المسلمين أبداً على أيدي من ينتسبون إليه اسماً أبداً، قد أفضى الى مصائب لم يزل يتردد صداها إلى اليوم، بما يمكن جمعه في كتاب كبير، يتناول آثار ذلك وتبعاته في كل بلد، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، والاهم من ذلك فكرياً، عقيدة وروحاً وانتماءً.

وهو قمين بأن يفشو العلم به إعلاماً وبحثاً وتعليماً بين المسلمين، ليدركوا أهمية أن يتنادوا إلى "الجامعة الإسلامية" من جديد، ففيها العقيدة والعزة والمنعة والرفاه، بالصورة المتاحة حاليا من خلال تجمعات ودعوات وهيئات وروابط ومؤسسات وجمعيات ونحو ذلك، مما يلم شعث الأمة ويوحد جهود عامليها.

وإذا كان ما يحدونا الآن من "فن الممكن"، وما ينبغي أن يسترعي انتباهنا، ونتنادى إليه، هو ما يتبقى لنا من فتات هذا الصرح العظيم/الخلافة، الذي ذهب أدراج الرياح.. إن الدرس العظيم الذي يتعين علينا كعلماء، كطلاب علم، كدعاة، كمصلحين، كمؤثرين، كأفراد في هذا المحيط الهائل من مليارى مسلم، هو أن نتمسك بما تبقى.. أن نتمسك بأي عمل إسلامي قائم، كمؤسسة، كهيئة، كمركز دعوي؛ فلقد ورثت جماعات الدعوة في العالم، هذه "الخلافة"، وجعلت نصب أعينها إقامتها؛ فأخفقت في معظمها عن تحقيق كثير من أهدافها المرحلية، وتراجعت بل اختفى الكثير منها، وورثت تلك الجماعات مشاريع دعوية ومؤسسات وجمعيات، نجح منها من نجح، وتلاشت أخريات. ولقد صار من الواجب على المسلمين، لاسيما علماءهم ووجهاءهم التشبث بتلك البقية؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.. لابد من اعتبار ما تبقى، نويّات يمكن استنباتها لتخرج بفضل الله شجرة وارفة عظيمة. لابد من أن يعمد المصلحون إليها تطويراً وتوسيعاً وتفريعاً وتقوية، وإلا؛ فإن ذهبت فما المأمول من بعد ما تبقى اليوم من آثار؟!







أ.د. محمد أمحزون



الإمّعات الفكرية.. وثقل المسؤولية

لفت الإسلام الأنظار للتدبر والتفكر والاعتبار بصيغ متعددة، تفيد لزوم إعمال العقل للتمييز بين الخير والشر والحق والباطل.

كما ركز على المسؤولية والتبعية الفردية؛ إذ لا يغني عن الإنسان أن يسير مع السائرين أينما اتجهوا لقوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [القيامة:١٤]، وقوله تعالى: ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الإسراء: ١٥]

وبالمقابل؛ فإن هذا الدين الحق يرفض التبعية الفكرية والتقليد، والسير مع الناس كيفما يكون المسير؛ بل لابد من الوضوح في المنطلق والهدف، وفي الرؤية والاختيار.

وفي هذا السياق قال النبي ﷺ : (لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا) [١]. وروي عنه ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم) [٢].

وفي قول الله تعالى: ﴿تشابهت قلوبهم﴾ [البقرة: ١١٨]، تعبير واضح عن البعد النفسي للمتماثلين الإمعات، فهم متشابهو القلوب في التصور والتركيبة النفسية، ولديهم جميعا قابلية للشر والفساد، وعليه؛ فإن ظاهرة المشاكلة والتقليد الأعمى ذمها الكتاب والسنة، إذ تتجاوب فيها أغلبية المجتمع لأسباب نفسية واجتماعية ومادية مع السلطة الحاكمة، وغالبا ما يمثل (المستضعفون) الفئة المقلدة، ويمثل (المستكبرون) أصحاب الفتنة لتقنينهم الفساد، وتكريسهم للظلم في شتى صوره، وهو ما يدخل ضمن ما يسميه علم النفس الاجتماعي الحديث بـ"التماثل".

والتماثل كما يعرفه علماء النفس الاجتماعي: هو إنتاج سلوك مشابه لمصدر التأثير في المجتمع أو السلطة، وهو سلوك اختياري يحظى بالموافقة والرضا والرغبة. أما الدوافع النفسية التي تتسبب في التماثل السلبي فترجع إلى عدة عوامل، **منها:**

- الطمع أو الرغبة في الحصول على مكافآت مادية ومعنوية.
- الخوف من عقوبة المجتمع وتهميشه عند إعلان المخالفة.
- أثر البيئة الاجتماعية والعادات والتقاليد
- القابلية للمتابعة مع وعي بمضار ذلك ومساوئه.

وهذه العوامل مجتمعة أو متفرقة تعزز مواقف سلبية، **منها:**

- تذلل وخنوع المتماثلين الإمعات من أجل الحصول على القبول والترحيب داخل المجتمع أو الجماعة.
- الجمود على المعايير والوسائل نفسها؛ على الرغم من تغير الظروف والملابسات التي أنتجتها، وهو ما يعود بالضرر على الجماعة والمجتمع.

ولكن التقليد قد يفيد، عندما يأخذ شكل الأسوة بالصالح من القول والعمل، وذلك عندما يحدث التنسيق والتأثير المتبادل بين أعضاء الجماعة، لاسيما عندما يكونون على مستوى واحد من الكفاءة؛ متشابهين في طباعهم وأنماط سلوكهم...
وفي حالة أخرى عندما يكون الفرد مستعدا لاقتباس أحكام نظرائه، إذا كانوا أكثر دراية وخبرة منه في القضايا المطروحة.
كما أن التماثل في المعايير الأساسية جوهري إذا كانت الجماعة ترغب في البقاء، وتريد بلوغ أهدافها ومقاصدها.
وهناك ظاهرة أخرى هي "الإذعان"، يُعَرِّفُهَا علم النفس الاجتماعي بأنها: " تغيير السلوك للخضوع لأوامر مباشرة لسلطة عليا" .
وهو سلوك إجباري تسعى السلطة من خلاله إلى ممارسة التأثير ومراقبة مدى خضوع الفرد لأوامرها.
ويعود سلوك الإذعان إلى جملة من العوامل، **منها:**

- تنفيذ المستضعف أو المذعن أوامر قائده ظنا منه أن من فوقه هو المسؤول عن أفعاله.
- قبول التفسيرات التي عطيها المتحكمون لتبرير سلوكهم تجاه الأحداث.
- إبداء المذعن مسؤولية أقل إزاء أفعاله الخاصة.
- الطمع في أخذ مكافأة على ممارسته غير الإنسانية.
- الخوف من عقاب من هو فوقه.

وللإشارة نقول: إن الإذعان يكون أحيانا طوعيا بفعل تأثير العادات والتقاليد الاجتماعية، والأهواء، والقابلية للمتابعة.

ونحن إذا وضعنا مفهوم "الإذعان" في ميزان الشرع، فسنرى أن هذا السلوك غير محمود وغير مرغوب فيه؛ لأنه يُعَوِّدُ الناس على الذل والاستسلام للباطل، وممارسة الظلم على غيرهم؛ إرضاء لرؤسائهم وكبرائهم أو خوفا منهم؛ كمن باع آخرته بدنيا غيره.
وقد حكى القرآن الكريم قصة المستضعفين وهم في النار يلقون التبعة على المجرمين الذين أطاعوهم وأذعنوا لتشريعاتهم وقوانينهم وسووهم بالله سبحانه في الطاعة والتعظيم والتشريع، وهو ما يتعلق بشرك الألوهية، فلم تنفعهم حسرتهم وندامتهم وتمني العودة إلى الدنيا لتغيير السلوك والمواقف:﴿قالوا وهم فيها يختصمون * تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين * وما أضلنا إلا المجرمون * فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم * فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٩٦-١٠٢].
على أن طاعة القيادة مشروطة بالمعروف وتنفيذ تعاليم الشرع لقول النبي ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)[٤]، وقوله : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٥].
إنها طاعة واعية مبصرة لا تسمح للأفراد أن تذوب شخصيتهم في شخصية القيادة؛ لأن المؤمن يتعلق بالمبدأ لا بالقيادة، التي تُسمع وتُطاع بحسب امتثالها لأوامر الله .
وحتى في أحلك الظروف؛ فإن الإنسان يملك قوة عظيمة هي قوة الرفض بقلبه، وهذه القوة سماها النبي ﷺ "جهادا" في قوله:(ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب

يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[٦]

وهذا الحديث وإن كان مسوقا في بيان أحوال الأنبياء السابقين؛ إلا أن الظاهر من لفظه أن هذه الأمة داخلة فيه؛ إذ يمثل سنة اجتماعية مطردة وشاملة.

إن الانهزام الداخلي الذي يستطيل به الباطل يمنعه المسلم بالتماسك القلبي. والموالاة التي يحتاجها الباطل - حتى مع قوته - فليمنعها عنه، وهذا ما يطلق عليه جهاد القلب.

وقد جاء الوعيد شديدا في من يلتف حول أهل الباطل ويذعن لهم، ويتعلق قلبه بنصرتهم، أو يتبعهم من غير روية: "أهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، والذين هم فيكم تبع..." الحديث.[٨]

ومن المعلوم أن أفعال الإنسان من حيث اعتبار الإرادة والقصد على ثلاثة أحوال:

- ثبوت الرضا والاختيار (وهو ما يتناوله هذا المقال)، وهذه ليست حالة إكراه.
- انعدام الرضا وبقاء الاختيار.
- انتفاء الارادة والقصد بانتفاء الرضا وانتفاء الاختيار.[٩]

أما الحالة الأولى: فقد تحدثنا عنها بما فيه الكفاية، والمذعن ها هنا يكون مسؤولا عن موقفه وسلوكه، ويتحمل تبعة أفعاله.

وأما بالنسبة للحالة الثانية؛ حيث يتعرض المذعن "للتهديد"، وينعدم رضاه ولا ينعدم اختياره تماما: فالمؤمن يختار في هذه الحالة أخف الضررين وأهون الشرين، كما هو حال نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾[الأعراف: ٨٨-٨٩].

فلا تجوز الاستجابة لهذا التهديد واستقبال فتنة الإيذاء بالاستخذاء والانقياد، كما في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول ءامنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾[العنكبوت: ١٠].

وفي ما يتعلق بالحالة الثالثة "الإلجاء"؛ حيث ينعدم الرضا والاختيار، وتنتفي الإرادة والقصد؛ بالوقوع تحت طائلة التعذيب الشديد، وهو ما يلغي الإرادة ويسقط مسؤولية الإنسان عن أفعاله وأقواله؛ بحيث تكون كأفعال العجماوات والجمادات[١٠]، فهذه الحالة هي التي نزلت فيها آية النحل:﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[النحل: ١٠٦]، واختلفت فيها مواقف الصحابة - رضي الله عنهم - كبلال وعمار وغيرهم بحسب قوة الإيمان وقوة الإرادة وقوة التحمل وضعفها. لكن لا تبعة على الإنسان في مثل هذه الحالة؛ إذ يستخدم فيها كالآلة.

وهكذا من منطلق التأصيل الشرعي؛ ينبغي أن نفرق بين الإكراه (التهديد والإلجاء) وبين مشاعر الخوف والطمع التي تتزاوج فيها مشاعر الرجاء والتعظيم والاتباع (الإذعان)، كما يجب أن نفرق بين الاستضعاف مع الرفض القلبي، وبين الهزيمة النفسية والاستكانة لتقاليد وأعراف المجتمع، والركون إليها، وفقدان الثقة في الله، وترك التوكل عليه.

وفي الختام، يمكننا القول بأن الفكر الغربي قد بلغ شأوا بعيدا في تفكيك وتحليل الظواهر الاجتماعية؛ بالكشف عن أسبابها والعوامل المؤثرة فيها وما يتمخض عنها من نتائج وآثار، وذلك بفعل التجارب المختبرية والدراسات الميدانية، لكن يبقى هذا الفكر عاجزا عن إيجاد حلول حقيقية للمشاكل الناجمة عن الظواهر الاجتماعية المستعصية؛ لأنه مقطوع الصلة بالوحي، وهو ما يجعله غير قادر على فهم حقيقة النفس الانسانية، وطبيعتها، ودروبها، وتشعباتها، ووسائل علاجها، ومن ثم لم يحالفه النجاح في ضبط بنية العلاقات الانسانية والنفسية المجتمعية في سيرها الآني والمستقبلي.

وليس أدل على ذلك مما تعانيه المجتمعات الغربية من انحطاط خلقي وأمراض اجتماعية ونفسية تنذر بحتمية الانهيار مهما يكن بطيئا:﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[الفتح: ٢٣].

***

عن المقاطعة نتحدث



د. عبد الله الحُميري

يعق والديه ويقاطعهما دون أن يستأذن ولي الأمر! ويقاطع أرحامه وأصهاره دون أن يستأذن ولي الأمر! ويقاطع جاره وصديقه على أتفه الأسباب دون أن يستأذن ولي الأمر! ويقاطع إخوانه في الله ويهجرهم في مسائل اجتهادية، الأشهر والسنين الطوال؛ فلا يسلم عليهم ولا يبيعهم ولا يبتاع منهم، ولا يزوجهم ولا يتزوج منهم، ولا يعود مريضهم، ولا يشهد جنائزهم؛ دون أن يستأذن ولي الأمر!!!

فإذا جاء وقت المقاطعة المشروعة الواجبة وتداعى المسلمون لنصرة إخوانهم المستضعفين بمقاطعة بضائع الكفار المحاربين للأمة من يهود وغيرهم، انتفض ذلك الجهول، وقال بلسان غير خجول، وفهم غير عقول: لا مقاطعة إلا بإذن ولي الأمر. إنه فقه الهوى وحب المفارقة والشذوذ في الرأي حتى فيما لا يُختلف عليه؛ إما مكابرة لمن خالفهم ولو أصاب؛ وإما تزلفًا للحكام ولو فيما ليس من حقوقهم ولم يشترطوه لأنفسهم! لقد استخدم هذا السلاح الاقتصادي في المقاطعة: الصحابي الجليل ثمامة بن أثال رضي الله عنه بعد إسلامه، وهو أحد سادات بني حنيفة، وأول من فرض الحصار الاقتصادي في الإسلام نصرة لرسول الله ﷺ، فأقره رسول الله ﷺ، ورضي فعله ولم ينكر عليه عدم الرجوع إليه قبل فرضه، وهو ولي أمر الأمة، فدل ذلك على عدم اشتراط الإذن في هذا الأمر من أحد.

ولو رجع هؤلاء المتكلفون المتزلفون، لفتاوى أهل العلم في هذا الشأن لوجدوا أنه لم يقل عالم معتبر بهذا

الاشـتراط الحـادث المبتـدع سـواهم! لأن المقاطعـة قـرار ذاتي ووسـيلة سـلمية تمليهـا عقيـدة الـولاء والـبراء، ويقتضيهـا واجـب النـصرة والإخـاء، وهـي وسـيلة ناجعـة في جهـاد الأعـداء؛ كـما قـال ﷺ: «جاهـدوا المشركـين بأموالكـم وأنفسـكم وألسـنتكم».

كيـف والأمـر لا يتطلـب منـك سـوى الامتنـاع عـن الـشراء غضبًـا لإخوانـك المسـلمين وكرهًـا لظالميهـم المعتديـن. ولا يحتـاج ولي الأمـر أن يمـلي عليـك قائمـة خصوصياتـك، مـن تحـب ومـن تبغـض، ومـن تـوالي ومـن تعـادي، وممـن تشـتري أو تبتـاع أو تنكـح، ومـاذا تعتقـد أو تفكـر، أو تـأكل أو تـشرب، ومـا يسـتحب لـك أو يجـب عليـك فعلـه؛ ولا كيـف تدعـو، ولمـن تدعـو، وعـلى مـن تدعـو!

ولكـن مـن يـدري لعـل الأيـام والليـالي الحبـالى تفاجأنـا بأدعيـاء جـدد يمنعـون حتـى مجـرد الدعـاء إلا باسـتئذان ولي الأمـر!!!

إن السـعي لإطفـاء روح التلاحـم وجـذوة التفاعـل مـع قضايـا المسـلمين، وتحييـد وتبليـد وتخديـر عواطفهـم تجـاه إخوانهـم المسـلمين في كل مـكان، وعدم نصرتهـم في أي شيء، بـل والتخذيـل والتقليـل مـن جـدوى أي شيءٍ في نصرتهـم ولـو قـل، هـو مـن عمـل أهـل النفـاق، وليـس مـن أعـمال أهـل الإيمـان الذيـن شـبههم رسـولنا ﷺ في توادهـم، وتراحمهـم، وتعاطفهـم، كمثـل الجسـد الواحـد، إذا اشـتكى منـه عضـو تداعـى لـه سـائر الجسـد بالسـهر والحمـى!

وشـبههم كالبنـان أو البنيـان يشـد بعضـه بعضـا! ومـن لم تؤثـر فيـه هـذه الأحـداث الجسـام، والمصائـب العظـام التـي تحـل بالمسـلمين وهـو يسـتطيع نصرتهـم بـشيء ولا يفعلـه استهانة بهـم، وعـدم اكـتراث لهـم، فليـس منهـم ولا كرامـة ولـو زعـم أنـه مسـلم؛ إذ لا خيـار لأحـد في هـذا أن يكـون مـع المؤمنـين وينصرهـم، أو يتخـلى عنهـم ويخذلهـم.

قـال تعـالى: ﴿وَالَّذِيـنَ كَفَـرُوا بَعضُهُـم أَولِيـاءُ بَعـضٍ إِلّا تَفعَلـوهُ تَكُـن فِتنَـةٌ فِي الأَرضِ وَفَسـادٌ كَبـيرٌ﴾، [الأنفـال: ٧٣].

بعضهـم أوليـاء بعـض: في النـصرة والتعـاون عـلى عداوتكم وقتالكـم وإن اختلفـوا فيـما بينهـم. [الغـرب الصليبـي مـع اليهـود أنموذجًـا]

إلا تفعلـوا أنتـم الأمـر ذاتـه مـن التنـاصر وتـولى بعضكـم بعضـا وتـرك الاختـلاف والتنـازع، تحصـل في الأرض فتنـة كبـيرة، ومفسـدة عظيمـة بسـبب تخاذلكـم وذهـاب ريحكـم، وتسـلط الكفـار عليكـم.

يقـول شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله:"وليعلـم أن المؤمـن تجـب موالاتـه وإن ظلمـك واعتـدى عليـك والكافـر تجـب معاداتـه وإن أعطـاك وأحسـن إليـك؛ فـإن اللـه سـبحانه بعـث الرسـل وأنـزل الكتـب ليكـون الديـن كلـه للـه فيكـون الحـب لأوليائـه والبغـض لأعدائـه والإكـرام لأوليائـه والإهانـة لأعدائـه والثـواب لأوليائـه والعقـاب لأعدائـه. وإذا اجتمـع في الرجـل الواحـد خـير وشر وفجـور وطاعـة ومعصيـة وسـنة وبدعـة اسـتحق مـن المـوالاة والثـواب بقـدر مـا فيـه مـن الخـير واسـتحق مـن المعـادات والعقـاب بحسـب مـا فيـه مـن الـشر فيجتمـع في الشـخص الواحـد موجبـات الإكـرام والإهانـة فيجتمـع لـه مـن هـذا وهـذا؛ هـذا هـو الأصـل الـذي اتفـق عليـه أهـل السـنة والجماعة".[مجمـوع الفتـاوى:٢٨/ ٢٠٩].

اللهـم إنـا نعـوذ بـك أن نقـول زورًا، أو نغـشى فجـورًا، أو نخـذل مسـلمًا، أو نجـر إليـه سـوءً. واللـه الموعـد، وهـو حسـبُنا ونعـم الوكيـل.

***